المملكـة المغربيـة
وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني
والتعليم العالي والبحث العلمي
ـ فاس سيـدي محـمد بـن عبـد اللـه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز،فاس

Royaume du Maroc
Ministère de l'Education Nationale, de la Formation Professionnelle, de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah- Fès
Faculté des Lettres et Sciences Humaines- Dhar Mehraz,

الأساطيل المرابطية والموحدية والصراع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط

(نهاية القرن 5ه/11م ـ منتصف القرن 7ه/13م)

من إنجاز الأستاذ : المصطفى طهر

مجزوءة: التاريخ البحري

الفصل: التاريخ

السنة الجامعية 2019-2020

شهد الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في الفترة الممتدة من نهاية القرن 5ه/11م إلى منتصف القرن 7ه/13م صراعا عسكريا مريرا من أجل التحكم في هذا المجال البحري الحيوي. تزامن ذلك الصراع مع مرحلة الحروب الصليبية و خضوع الغرب الإسلامي لحكم المرابطين والموحدين. وقد وجدت الأساطيل المغربية – الأندلسية نفسها في مواجهة أساطيل القوى الأيبيرية (قشتالة ، آراغون والبرتغال) وأساطيل الجمهوريات الإيطالية (جنوة وبيزة) ومملكة صقلية النورماندية وأساطيل صليبية متوجهة من شمال غرب أوروبا إلى سواحل المشرق الإسلامي .

وإذا كانت المرحلة الممتدة من نهاية القرن 5ه/11م إلى بداية القرن 7ه/13م قد عرفت توازن القوى بين المسلمين والمسيحيين، فإن هذا التوازن اختل لصالح المسيحيين بعد معركة العقاب (609ه/1212م).

المحور الأول :الهجرية المرابطية

1- التحكم في الزقاق وإنشاء نواة الأسطول المرابطي:

طرحت ضرورة إنشاء قوة بحرية حربية بإلحاح على المرابطين عندما تقدموا إلى السواحل المتوسطية و تلقى يوسف بن تاشفين دعوة أمير إشبيلية المعتمد بن عباد و فقهاء الأندلس إلى نصرة الإسلام في العدوة الأندلسية "المحصنة بالبحر" [1]. فاستجابة يوسف بن تاشفين لدعوة أهل الأندلس كانت تفرض عليه الاستيلاء على الثغور الشمالية، خاصة سبتة و طنجة اللتان كانتا خاضعتين لإمارة بحرية قوية، هي إمارة سقوت البرغواطي التي ظل أسطولها، رغم هزيمته سنة 457ه، ينافس أسطول مملكة بني عباد (80 سفينة) على السيادة في مضيق جبل طارق أو المجاز[2].

بالفعل، في سنة 570ه/1077م قرر يوسف بن تاشفين الاستيلاء على ثغور الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق، و تمكن جيشه المؤلف من حوالي 32000 فارس بقيادة صالح بن عمران من إلحاق الهزيمة بالقوات البرغواطية و قتل

---

[1]- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، د،ت. ج6، ص111.

[2]- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ليبيا – تونس، 1975، القسم الثاني، المجلد 2، صص61-64؛ مجهول، مفاخر البربر، ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المصادر الأندلسية، 20، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996، صص196-197.

الحاجب سقوت البرغواطي و فتح طنجة[3]، إلا أنه فشل في اقتحام سبتة التي تحصن بها المعز بن سقوت البرغواطي. وقد تمادى هذا الأمير البرغواطي في تحدي المرابطين وحلفائهم بني عباد حيث أمر أسطوله بنشر الرعب في مضيق جبل طارق و الاستيلاء على السفن التي تعبره . و هذا ما عبر عنه ابن بسام الشنتريني في قوله : **" رجل استعان بالشر، و تهاون بالأمر، (...)، لا سيما في البحر فإنه أضرم لججه نارا ، و لقي ريحه إعصارا. أخذ كل سفينة غصبا، و أضاف إلى كل رعب رعبا، فضجت منه الأرض و السماء، و التقت الشكوى عليه و الدعاء"[4].**

عندما أيقن يوسف بن تاشفين استحالة الاستيلاء على سبتة برا، أمر بإنشاء أسطول صغير من الشواني و المراكب و طلب الدعم من مل ك إشبيلية ، وتزامن ذلك مع إنشاء المعتمد بن عباد لسفينة ضخمة **" ضاهى بها مصانع الملوك القاهرين، بعد العهد بمثلها سدة أسر، و سعة بطن و ظهر، كأنما بنا على الماء صرحا ممددا، و أخذ بها على الريح ميثاقا مؤكدا ، ووجهها طنجة لتمتار، و قد أنجد أمر الله و غار"[5].**

خاض الأسطول المرابطي الناشيء أولى معاركه البحرية في مياه سبتة سنة 476ه/1083م. وقد بدأت تلك المعركة بهزيمة الأسطول المرابطي و فقدانه لإحدى أهم قطعه مما **" أحدث ارتياعا في محلة المرابطين"** حتى قوضوا بعض الخيام وهموا بالإحجام لولا وصول نجدة المعتمد بن عباد إلى مياه سبتة ممثلة في السفينة الضخمة التي **" أطلت على أسوارها، ورفعت صوتها ببوارها، وأفضت بدولة صاحب سبتة إلى سوء قرارها ليلة الجمعة من صفر المؤرخ (476ه)"** . و بذلك تمكن المرابطون من اقتحام سبتة وقتل المعز بن سقوت وإخضاع المدينة لسلطة المرابطين[6]. وقد تم لهم ذلك في وقت كانت الجيوش المرابطية بقيادة مزدلي بن تيلكان اللمتوني قد استولت (حوالي 474-475ه/1082-1083م) على سواحل الواجهة المتوسطية الممتدة من سبتة إلى جزائر بني مزغنة أي على مراسي بادس

[3]- علي بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في ذكر ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية-الرباط، 1999، ص180-181.

[4]- ابن بسام، الذخيرة، م.س.، ق2، م2، 162-163؛ مفاخر البربر، م.س.، ص197-198.

[5]- مفاخر البربر، م.س.، صص197-198.

[6]- نفسه، صص 198-199.

و مليلية وهنين و تنس و الجزائر الحالية التي شكلت الحد الشرقي للتوسع اللمتوني[7].

بعدما انتهت الجيوش المرابطية من أمر الثغور المطلة على المضيق و خاصة سبتة ، أعطى يوسف موافقته المبدئية على دعوة ابن عباد له للجواز إلى الأندلس، إلا أنه اشترط عليه تسليمه الجزيرة الخضراء حتى يؤمن خط الرجوع إلى وطنه عملا بنصيحة عبد الرحمن ابن أصباط [8]، وحتى يكون قرار الجواز وتوقيته مرابطيا[9]. وهذا الطلب يبقى دليلا على عدم ثقة يوسف بن تاشفين في نوايا ابن عباد وبقية ملوك الطوائف، ولعل السبب في انعدام الثقة لدى الأمير المرابطي راجع، وفقا لما ورد عند ابن خلكان، إلى كون العبور إلى الأندلس كان مشروعا مرابطيا فرض على ملوك الأندلس الذين لما علموا بنوايا اللمتوني **"أعدوا له العدة من المراكب والمقاتلة وكرهوا إلمامه بجزيرتهم، إلا أنهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته وكرهوا أن يصبحوا بين عدوين: الفرنج من شمالهم والملثمون من جنوبهم"** [10]. و مما يدل على مدى رغبة ابن تاشفين في العبور إلى العدوة الأندلسية أنه بمجرد ورود رسل المعتمد إلى مراكش حاملين موافقة ملك إشبيلية على إخلاء الجزيرة الخضراء ووضعها في يده عند وصوله إلى سبتة [11] قام يوسف باستنفار جيوشه و التحق بسبتة التي مكث بها للنظر في أمرها و إصلاح سفنها[12]. لكن انعدام الشعور بالثقة بين الطرفين ظل قائما، وأصبح أكثر حدة عندما أمسك ابن عباد برسل ابن تاشفين طويلا بإشبيلية بشكل أقلق الأمير المرابطي. ثم إن وصول بعض شيوخ إشبيلية يحملون رسالة شفوية من المعتمد مفادها: **" تربص من سبتة مدة ثلاثين يوما، إلى أن نخلي لك الجزيرة "** [13] رفع من منسوب انعدام

---

[7] - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص32؛
Vincent LAGARDERE, Les Almoravides jusqu'au règne de Yusuf b. Tašfīn (430H/1039 – 500 H/1106). Doctorat de 3ème cycle, Université de Bordeaux III, 1976, p.59

[8]- لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، بيروت، 1956، ص246.

[9]- مجهول، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، الدار البيضاء، 1979، ص50.

[10]

[11]- عبد الله بن بلقين، كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1995، ص122.

[12]- الحلل الموشية، م.س.، ص51.

[13]

الثقة لدى الطرف المرابطي. ولهذا، رغم استجابته لطلب ابن عباد، فإن سلوك هذا الأخير أثار حفيظة ابن تاشفين ومستشاريه الذين نصحوه بالإسراع بالعبور وعدم احترام مهلة الثلاثين يوما، وقد أخذ يوسف بتحذيرات ونصائحه مستشاريه وعمل، بمجرد انصراف رسل ابن عباد، على تجويز خمسمائة فارس نزلوا بدار صناعة الجزيرة، والتحقت بهم طوائف الجيش المرابطي بقيادة داود بن عائشة تم شرع في تجويز العساكر إلى الجزيرة الخضراء [14] وعبر هو في أثرها في موكب عظيم من قواد المرابطين و أنجادهم وصلحائه ، ويذكر الناصري أن العبور تم بسهولة وفي أسرع وقت حيث نزل الأمير المرابطي بالخضراء يوم الخميس عند الزوال، منتصف ربيع الأول سنة 479ه/1086م **[15].**

خلافا لما ورد في كتاب أعمال الأعلام لابن الخطيب بشأن تخلي ابن عباد **" عن الجزيرة الخضراء بما فيها من بهيمة وأنعام وعلوفة وطعام"** [16]، يذهب الأمير ابن بلقين -الذي عاصر الأحداث- إلى أن الراضي بن المعتمد تلكأ في تسليم المدينة للقائد المرابطي داود بن عائشة الذي لجأ إلى مخاطبته وتذكيره بالوعد، وطمأنته بأن المرابطين لا يريدون احتلال المدينة أو تهديد سلطان العباديين، بل هدفهم هو الجهاد، قبل أن يلجأ إلى التهديد باللجوء إلى القوة، ويظيف صاحب " التبيان" أن يوسف خاطب المعتمد بن عباد قائلا: **" كفيناك مؤنة القطائع وإرسال الأقوات لأجنادنا كما وعدت !"**[17]. وهذا دليل آخر على انعدام الثقة بين الطرفين، وعلى توفر المرابطين على أسطول قادر على نقل الجيش المرابطي من سبتة إلى الجزيرة الخضراء.

وعملا بنصائح مستشاريه ولتأمين خط الرجعة[18]، حرص ابن تاشفين على تحصين الجزيرة الخضراء ببناء الأسوار وترميم الأبراج وإحاطة المدينة بالحفير (الخندق) وشحنها بالأطعمة والأسلحة والعسكر قبل الرحيل إلى إشبيلية**[19]**، ومن تم تابع حملته

---

[14]- الحلل الموشية، ص51.

[15] - الناصري، م.س، ج2، ص34؛

16

17

18

[19] - الحلل الموشية، م.س.، ص51.

العسكرية التي توجت بالانتصار في موقعة الزلاقة في رجب 479ه/أكتوبر 1086م[20] .

بعد موقعة الزلاقة الشهيرة جاز ابن تاشفين إلى الأندلس ثلاث مرات في سنوات 481ه/1088م و 483ه/1090-1091م و 496ه/1102م مستعملا الطريق البحري الرابط بين سبتة و الجزيرة الخضراء، و في عهده تمكنت الجيوش المرابطية من الإطاحة بملوك الطوائف و توحيد الأندلس و استرجاع قاعدة بلنسية البحرية الهامة من يد النصارى عام 495ه/1101م[21]. و قد تابع علي بن يوسف نفس السياسة ، فجاز المضيق من سبتة إلى الجزيرة الخضراء أربع مرات في سنوات 500 و 503 و 511 و 515 للهجرة، و صار على نهجه الأمير تاشفين بن علي بن يوسف[22].

لا شك أن المرابطين قد استفادوا من معادن ال حديد والقار الموجودة بأحواز طنجة[23]، ومن كثرة أشجار بلاد غمارة والريف والهبط [24] وخاصة أشجار الأرز التي يستعمل خشبها في إنشاء الأساطيل [25] و من دور الصناعة أو الإنشاء بسبتة و طنجة و قصر مصمودة و ما فيها من سفن و آلات في بناء الأسطول المغربي .
فأول عمل قام به يوسف بن تاشفين عند دخوله سبتة عام 479ه كان هو إصلاح أحوال المدينة و سفنها[26]. و لعل هذا ما دفع محمد بن تاويت إلى القول بأن يوسف بن تاشفين أسس في المدينة مصانع للأساطيل[27]، في حين لا تتحدث المصادر سوى عن الأمر **" ببناء سور الميناء السفلي "** [28]. إن توفر سبتة على أسطول غداة

---

[20]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم ممدوح حقي، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت.، صص192-193؛ الحلل الموشية، م.س.، ص52-66.

[21]- نفسه، صص66-77؛ عبد المنعم محمد حسين حمدي، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1997، صص62-74.

[22]- الحلل الموشية، م.س.، صص 84-102 و121-124.

[23]- لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، دراسة وترجمة النص العربي محمد كمال شبانة، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي بالمغرب، تطوان، 1977، ص73.

[24]- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – الظاهر، د.ت.، م2، ص532؛ محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، حققه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية – الرباط، 1969، ص61.

[25]- ابن سعيد المغربي، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان فرنيط خينس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958، ص73.

[26]- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية، م.س.، صص239-240.

[27]- محمد بن تاويت، تاريخ سبتة، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982، ص52.

[28]- الحلل الموشية، ص72.

حصارها وخلال فتحها من لدن المرابطين و إقدام يوسف على إصلاح السفن بها دليل على و جود أوراش لبناء السفن اعتبرها البعض من أقدم الأوراش المغربية على الإطلاق[29] . و مع ذلك لا نجد لهذه الأوراش أو الترسانات ذكرا في المصادر قبل النصف الثاني من القرن 6ه/12م ، إذ اكتفى الإدريسي في " كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" بالإشارة إلى طنجة كمركز لإنشاء المراكب [30] و إلى دار الإنشاء بقصر مصمودة (قصر المجاز- القصر الصغير) التي كانت متخصصة في إنشاء **" المراكب والحراريق التي يسافر فيها إلى بلاد الأندلس"** [31]، والتي أسست على ما يبدو في عهد يوسف بن تاشفين[32].

فبالاعتماد على أوراش الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق تمكن المرابطون من إنشاء و إصلاح مجموعة من المراكب و الشواني التي سخرها يوسف بن تاشفين في تجويز قواته إلى العدوة الأندلسية[33]. و لا شك في أن المرابطين استفادوا بشكل كبير مما توفرت عليه الأندلس من ترسانات و كفاءات بشرية في ميادين صناعة السفن و قيادة الأساطيل. ففيما يتعلق بدور الإنشاء كانت الأندلس تتوفر على العديد من الترسانات و جد بعضها على الساحل المتوسطي في طرطوشة [34] و دانية [35] وميورقة[36] والقنت [37] و ألمرية[38] والجزيرة الخضراء[39]، وعلى الساحل الأطلسي

---

[29]- محمد الشريف، سبتة الإسلامية، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، سلسلة دراسات، منشورات جمعية تطاون اسمير، تطوان، ط1، 1995، ص42.

[30]- الإدريسي، م.س.، 2، ص529.

[31]- نفسه، ص.ن.

[32] - PICARD, op.cit., p.59.

[33] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1998، ج1، ص112.

[34] - E. LEVI-PROVENCAL, Inscriptions arabes d'Espagne, Leyde-Paris, 1931, pp. 83-84.
الإدريسي، م.س.، 2، ص555؛ محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص391.

[35]- الإدرسي، م.س.، ص557؛ الحميري، م.س.، ص232.

[36]- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1971، صص122-123.

[37]- الإدريسي، م.س.، 2، ص558؛ الحميري، م.س.، ص511.

[38]- ابن حيان، المقتبس، قطعة خاصة بالثلاثين سنة الأولى (300-330ه) من حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر، تحقيق شالميتا وغيره، مدريد، 1979، ص312؛ أحمد بن عمر بن أنس العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965، ص86؛ علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد الغرناطي الأندلسي، المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، دار المعارغف بمصر، 1953، ج1، ص193؛
Christophe PICARD, L'océan atlantique musulman de la conquête arabe à l'époque almohade, Paris, 1997, pp. 267-268.

[39]- الحميري، م.س.، ص223.

في مصبات الأنهار والجزر ، في إشبيلية [40] و شلب [41] و قصر أبي دانس [42] و شلطيش التي اشتهرت بإنشاء السفن و صناعة **" المراسي التي ترسى بها السفن و المراكب الحمالة الجافية "[43].**

ما كان لصناعة السفن و تجهيز المراكب أن تنشط بالأندلس من دون وجود الصناع و الفعلة و توفر المواد اللازمة لذلك من أخشاب[44] و حديد و زفت و قطران . فأخشاب الصنوبر كانت تجلب من جبال قصر أبي دانس و جزيرة يابسة و شبة جزيرة قادس و أحواز شلطيش و شلب و قلصة (بجوار كونكة) و الجزر الواقعة قبالة شنتمرية الغرب[45] ومن جبال طرطوشة التي تميز خشبها بالجودة كما أكد ذلك الإدريسي في قوله : **" و بجبالها يكون خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول و الغلظ و منه تتخذ الصواري و القرى و هذا الخشب الصنوبر الذي بجبال هذه المدينة أحمر صافي البشرة دسم لا يتغير سريعا و لا يفعل فيه السوس ما يفعله في غيره و هو خشب معروف " [46].** وبالإضافة إلى الصنوبر كانت جبال و سهول حصن بطروش مكسوة بغابات أشجار البلوط [47] . أما الحديد اللازم لعمل المسامير و المراسي و الروابط و الكلاليب فكان يستخرج من جبال ألمرية و طليطلة و منطقة غرناطة و الجبال المحيطة بحصن قسطنطينة [48] . أما الزفت و القطران اللازمين لقلفطة المراكب و تسليح الحراقات فكانا يستخرجان من كورة جيان و يحمل إلى دور صناعة السفن بإشبيلية و الجزيرة الخضراء[49].

---

[40]- ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله الطباع، راجعه ووضع فهارسه عمر فاروق الطباع، ط1، بيروت، 1994، صص111-112.

[41]- الحميري، الروض المعطار، ص616.

[42]- الإدريسي، نزهة المشتاق، 2، ص544.

[43]- نفسه،

[44]- Maurice LOMBARD, « Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane (VII-XIe siècle) », dans Le navire et l'économie maritime du Moyen au XVIIIe siècle principalement en Méditerranée, 2ème Colloque International d'histoire maritime (tenu à l'Académie de Marine, mai 1957), Paris, 1958, pp.74-79.

[45]- الإدريسي، نزهة المشتاق، 2، صص543 (شلب)، 560 (قلصة)؛ الحميري، الروض المعطار، صص 98 (يابسة)، 45 (قادس)، 161 (قصر أبي دانس)، 115 (شنتمرية).

[46]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص555.

[47]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص580.

[48]- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص552 (طليطلة)، 562 (ألمرية)، 573 (حصن قسطنطينة الحديد)؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، "4، القاهرة، 2001، ج1، ص98 (غرناطة).

[49]- ابن حيان، المقتبس في أخبار الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، نشر وتحقيق توزيع دار الثقافة، بيروت، 1983، ص101.

2- الجهاد البحري

لقد تمثلت المهمة الأولى لقطع الأسطول المرابطي في تجويز القوات البرية من الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق إلى الضفة الشمالية والعكس صحيح حيث " كانت قطائع النقل اجتمع بنوع خاص في مياه سبتة وطنجة والجزيرة الخضراء وطريف لنقل الجبوش المرابطية من وإلى شبه الجزيرة الأيبيرية" [50]. وما كان لهذه المهمة الصعبة أن تنجز بدون خسائر في مضيق اشتهر بقوة الرياح والتيارات البحرية لولا جودة المراكب المرابطية وتوفرها على طواقم (رؤساء ونواتية) ذات خبرة عالية في ميادين قيادة الأساطيل وركوب البحر[51].

بالإضافة إلى نقل المقاتلين والخيول والمؤن والعدد والآلات من ضفة إلى أخرى، كلفت ألوية الأسطول المرابطي بمراقبة مضيق جبل طارق ومنع اختراقه من قبل الأساطيل الصليبية المتوجهة من مراسي بحر الشمال والمحيط الأطلنطي نحو مواني‌ء المشرق. إلا أن الاضطلاع بهذه المهمة لم يكن بالأمر الهين أمام ضخامة الأساطيل الأوروبية وضعف الأساطيل الأندلسية عددا وعدة وتنظيما بعد التدمير الذي لحق بأسطول بني عباد أثناء الحصار المرابطي لإشبيلية خلال صيف عام 483ه/1091م[52]. ففي سنة 489ه/1096م تمكن أسطول صليبي مكون من مراكب دنماركية (Danois) وفريزية (Frisons) وفلامانية (Flamands) بقيادة البولوني غوينمبر (Guynemer) من اختراق مضيق جبل طارق والإبحار نحو سواحل سورية أو بلاد الشام؛ وفي عام 500-501ه/1106-1107م ألحق

---

[50]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1988، ص145.

[51]- رسائل أندلسية، تحقيق فوزي سعد عيسى. ط1، منشورات منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت.، صص 67-69.

[52]- المراكشي، المعجب، ص206.

أسطول صليبي قوامه 60 مركبا تحت قيادة النرويجي سيغورد (Sigurd) الهزيمة بأساطيل غرب الأندلس، وعبر المضيق في اتجاه الشرق[53].

في العشرية الأولى من القرن 6ه/12م امتدت مهام البحرية المرابطية لتشمل المشاركة في الحملات العسكرية وعمليات حصار وفتح القواعد البحرية. ففي سنة 504ه/1111م شاركت قوة بحرية في فتح شنترين في غرب الأندلس (L'Algarve)[54]؛ وفي سنتي 508-509ه/1114-1115م كان بمقدور المرابطين تجهيز أسطول ضخم لإغاثة وتحرير جزيرتي يابسة وميورقة اللتان احتلتا من قبل قوات بحرية صليبية (500 مركب) شاركت فيها أساطيل بيزة (380) وسردانية وبرشلونة وأربونة ومونبلييه [55]. فحسب ابن الكردبوس، بلغ عدد قطع الأسطول الذي أسند علي بن يوسف قيادته لابن تافرطاست 300 شراع، وانتهت الحملة البحربة بطرد المحتلين وإعادة إعمار مدينة ميورقة، كما نجح لواء بحري تحت قيادة أبي السداد في إغراق إحدى السفن المسيحية والاستيلاء على ثلاث قطع بمياه دانية[56].

إن فشل الألوية البحرية في منع الأساطيل الصليبية من اختراق المضيق والبطء الذي طبع حركة الأسطول المرابطي لإغاثة جزر البليار (الجزر الشرقية) و **" تكالب العدو على البحر حتى كاد يقطع منه جميع السفر"** [57] كانت هي الأسباب الأساسية وراء القرار الذي اتخذه علي بن يوسف بن تاشفين (500-537ه) سنة 510 للهجرة والقاضي بتنظيم البحرية وإسناد قيادة العليا على الأسطول البحري لأبي عبد الله محمد بن ميمون الذي كان قد ولي قيادة أسطول ألمرية والإشراف على دار صناعتها**[58]**.

---

[53] - PICARD, L'océan atlantique musulman, op/cit., p.164.

[54]- المراكشي، المعجب، ص248.

[55] - G/ SCALIA, « Contributi pisani alla lotta anti-islamica nel secolo XI e nei primi decenni del XII », in Anuario de Estudios Medievales, 10, Barcelona, 1980, pp. 137-138.

[56]- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، صص 122-124.

[57]-أبو محمد الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990، ص60.

[58]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص62.

ينتسب محمد بن ميمون، حسب المراكشي، إلى مدينة دانية [59]، وقد بزغ نجمه، وفقا لرواية ابن الكردبوس، عندما استطاع سنة 508ه/1114م اختراق الحصار المسيحي لميورقة ليلا على ظهر غراب وإيصال كتاب استصراخ واستنصار مبشر الخصي ناصر الدولة إلى أمير المرابطين علي بن يوسف.[60]

اتخذ محمد بن ميمون من ألمرية قاعدة للأسطول الذي كان تحت إمرته، كما يدل على ذلك قول الشقندي : " **و في ألمرية كان ابن ميمون القائد الذي قهر النصارى في البحر، و قطع سفرهم فيه، و ضرب على البلاد الرومانية، فقتل و سبى و ملأ صدور أهلها رعبا** " [61]. وفي ظل قيادة محمد بن ميمون أضحت دار صناعة المراكب بألمرية **" أعمر دار في الدنيا متخذة لهذا الشأن فيها من الآلات البحرية والعدد الحربية ما لم تجمعه دار قط "**[62].

بالإضافة إلى أبي عبد الله محمد أسند المرابطون قيادة الأساطيل في البحر المتوسط و المحيط الأطلسي إلى لب بن ميمون و أخيه عيسى بن ميمون وابن هذا الأخير علي. و قد تولى كل من عيسى و ابنه علي قيادة أسطول إشبيلية وغرب الأندلس و استقرا في قادس التي يعود لبني ميمون الفضل في إحداثها و تعميرها [63]. وقد سطع اسم علي بن عيسى الذي كان له الفضل في القبض على القائد القطلوني الربيرتير Reverter قائد الروم في عهد علي ين يوسف بن تاشفين[64]

و إلى جانب ألمرية و إشبيلية و قادس اتخذ الأسطول الحربي المرابطي من سبتة وطنجة و دانية و القنت وميورقة والجزيرة الخضراء وشنتمرية الغرب وطبيرة وشلب وغيرها من المراكز البحرية على سواحل المغرب والأندلس قواعد ينطلق منها للغزو . وبفضل الأسطول و القواعد البحرية المجهزة و القيادة المحنكة لبني ميمون نجح المرابطون في تثبيت النفوذ المغربي في الحوض الغربي للبحر

---

[59]- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 2006، ص155.

[60]- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص123.

[61]- أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، محافظة مصر، 1949، ج1، ص206.

[62]- الرشاطي، م.س.، ص60.

[63] -PICARD, La mer, op.cit., p.61.

[64]- ابن الأبار كتاب الحلة السيراء، حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس، الجزء الثاني، دار المعارف، 1985، ص193، الهامش رقم 2.

الأبيض المتوسط و المتوسط الأطلسي، و هذا ما عبر عنه عبد الرحمن بن خلدون في قوله : **" و كان الجانب الغربي من هذا البحر موفور الأساطيل، ثابت القوة، لم يتحيفه عدو، و لا كانت لهم به كثرة. فكان قواد الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون رؤساء جزيرة قادس، و انتهى عدده الأساطيل إلى المائة من بلاد العدوتين جميعا "**[65].

إن المقصود بالأساطيل في كلام ابن خلدون، حسب العبادي هو عدد مجموعات السفن الحربية التي كانت موزعة على جميع قواعد المغرب و الأندلس، يؤكد ذلك قول ابن الكردبوس أن أمير المؤمنين علي بن يوسف بن تاشفين أمر بتعمير ثلاثمائة قطعة لإنقاذ جزيرة ميورقة [66] . لأنه، في نظر نفس الباحث، لو تعلق الأمر بمائة قطعة أو سفينة فقط لكان أسطول الإمبراطورية المرابطية أصغر من أسطول ملك دانية و جزر البليار مجاهد العامري (أحد ملوك الطوائف) الذي غزا جزيرة سردانية(406ه) في أسطول من 120 سفينة[67]، ومن أساطيل القوى المسيحية، مثل جنوة و بيزة و النورمانديين في صقلية، التي كان أسطول كل منها يزيد على ثلاثمائة قطعة[68]. إن أكبردليل على أن المرابطين توفروا على أسطول ضخم كون أسطول قاعدة ألمرية فقط كان يتكون من مائة قطعة بحرية وفقا لما ذكره الزهري في قوله: **" وهذه المدينة لم يكن في بلاد الأندلس أعظم منها أجفانا وحركة في البحر، وقد انتهت أجفانها وبلغت المائة، ولم تبلغ مدينة ما بلغتها في هذا الفن "**[69].

بعد تعيين بني ميمون على رأس الأساطيل أضحت البحرية المرابطية أكثر فاعلية، فانطلاقا من قاعدة ألمرية قدم الأسطول المرابطي الدعم لملوك إفريقية بني زيري الصنهاجيين في صراعهم مع نورمانديي مملكة قلورية و صقلية . ففي بداية القرن6ه/12م ساءت العلاقات بين النورمانديين و الزيريين على خلفية الصراع

---

[65]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، بيروت، 1993، ص199.
[66]- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية، ص242.
[67]- نفسه، ص203.
[68]- نفسه، ص242.
[69]- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد- الظاهر، د.ت.، ص101 (259).

الدائر بين الأمير الزيري علي بن تميم بن المعز بن باديس ووالیه على قابس رافع بن كامل بن جامع الرياحي . ففي عهد الأمير يحيى بن تميم أنشأ رافع " سفينة و أعدها لما يعرض له في البحر من أمر " و حصل على موافقة الأمير في هذا الشأن؛ فلما ولي علي رفض أن " يقاومه أحد من أهل إفريقية في إجراء السفن في البحر، و أنفذ أسطولا إلى ساحل قابس لمنع هذه السفينة من الإقلاع و أخذها إن أقلعت " [70]، فاستنجد رافع بروجار الثاني، واستجاب هذا الأخير ووجه عام 511ه/1117م إلى قابس أسطولا مؤلفا من 24 مركب، و انتهى هذا التدخل بهزيمة الأسطول النورماندي أمام نظيره الزيري[71].

لمواجهة الخطر النورماندي شرع علي بن يحيى في تقوية أسطوله بالاعتماد على أوراش بناء السفن في كل من تونس [72] وسوسة[73] و طرابلس[74] و خاصة بالعاصمة المهدية التي كان الفاطميون قد جهزوا بها " دار صناعة...تسع أكثر من 200 مركب، فيها قبوان كبيران طويلان لآلات المراكب و عدتها لئلا ينالها شمس و لا مطر "، و بمرسى " منقور في حجر صلد يسع 30 مركبا " يحميه برجان بينهما سلسلة من حديد مهمتها منع مراكب الروم من دخوله[75]. و لم يقف علي بن تميم عند هذا الحد، بل طلب الدعم من المرابطين و راسل روجار الثاني و هدده بإدخال الملثمين و العرب إلى صقلية [76]. و الواقع أن الدعم المرابطي لم يتأخر؛ ففي سنة 511ه/1117م قام أسطول مكون من 25 سفينة بقيادة محمد بن ميمون بأمر من علي بن يوسف بغزو بلاد الروم و الإغارة على مدينة قطرون و عاد إلى قاعدة ألمرية محملا بالسبي و غنائم أخرى[77].

---

[70]- رحلة التجاني، تحقيق حسين حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981، صص98-99.

[71]- حمدي، التاريخ اسياسي، م.س.، صص220-221.

[72]- أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوقن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1992، صص693 و696؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص120.

[73]- البكري، م.س.، صص 688 و691.

[74]- نفسه، ص760.

[75]- نفسه، ص683.

[76]- ابن عذاري، م.س.، ج4، 67.

[77]- نفسه، ص66.

لقد أدت الغارة المرابطية إلى زيادة تأزيم العلاقات الزيرية- النورماندية مما دفع الأمير الزيري الجديد الحسن بن علي إلى **" مكاتبة أمير الملثمين بالمغرب"** [78]. ولعل هذا ما دفع ابن ميمون إلى الإغارة بأسطول ألمرية على سواحل مملكة روجار الثاني عام 516ه/1122م حيث تم فتح مدينة نقوطرة و سبي نسائها و أطفالها [79]. وبطبيعة الحال وضع روجار الثاني مسؤولية الغارة المرابطية على عاتق صاحب المهدية، وقرر معاقبته؛ و حتى يتسنى له ذلك يقول ابن عذاري : **" استنفر أهل بلاد الروم قاطبة (و أكثر) الاستنصار و استجاش و حشد كأنما في ذلك كله أمره، فمنع السفر إلى سواحل المسلمين و التأم له ما لم يعهد مثله "** [80]. وفي أواخر جمادى الأولى من عام 517ه/1123م و صل الأسطول النورماندي المؤلف من حوالي 300 سفينة محملة ب 30000 راجل و زهاء 1000 فارس بقيادة عبد الرحمن بن عبد العزيز وجرجي الأنطاكي إلى سواحل إفريقية، حيث استولى على جزيرة قوصرة و رسا بجزيرة الأحاسي ، تم تابعت القوات النورماندية عملياتها فاحتلت قصر الديماس، وحاولت التقدم برا لمحاصرة المهدية. إلا أنها منيت بالهزيمة مما أرغم الصقليين على التراجع إلى صقلية . و يعزو التجاني و ابن عذاري انتكاسة الحملة النورماندية إلى العاصفة البحرية التي أغرقت جزءا من الأسطول النورماندي وإلى الاستعدادات التي قام بها الحسن بن علي و المتعلقة بتشييد أسوار المهدية و شحنها بالأسلحة و المؤن واستقدام القبائل من العرب و غيرهم للجهاد[81].

من المحتمل جدا أ ن يكون تقدم الأسطول المرابطي نحو المهدية سببا أساسيا في تراجع الأسطول النورماندي نحو صقلية، كما يستشف ذلك من قول التجاني : **" لما أقلع الأسطول إلى صقلية خائبا خاسرا غاظ لجار لذلك، ثم اتفق بأثره أن وصل أسطول الملثم من المغرب و قائده محمد بن ميمون المذكور فعاث في بلاد لجار**

---

[78]- رحلة التجاني، صص334-335.
[79]- ابن عذاري، م.س.، ج4، ص67.
[80]- نفسه، ص.ن.
[81]- نفسه، صص67-68؛ رحلة التجاني، م.س.، صص335-339. عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدا والخبر، ق1، م6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ص330-331.

وقتل وحمل نساءها سبيا إلى بلاده"[82]. وأمام هذه الهزائم و الغارات المتتالية أرغم روجار الثاني على عقد صلح مع الأمير الزيري الحسن بن علي في انتظار أن يتغير ميزان القوى و يصبح بإمكانه احتلال المهدية، كما جاء ذلك في قول التجاني: **" و كان لجار كلما و صل أسطول من المغرب إلى بلاده نسبه إلى الحسن فعزم العزم المصمم على غزو المهدية و أنشأ في ظاهر الأمر بينه و بين الحسن صلحا و في نفسه ما فيها"** [83]. ويضيف ابن خلدون سببا آخر لتوقيع الصلح بين الطرفين حيث يشير إلى وصول أسطول يحيى بن عبد العزيز (الحمادي) صاحب بجاية لحصار المهدية ووصول عساكره في البر مع قائده مطرف بن علي بن حمدون الفقيه، وهو الأمر الذي دفع الحسن إلى مصالحة صاحب صقلية الذي أمده بأسطول أرغم الحماديين على فك الحصار والعودة إلى بلادهم[84].

وإلى جانب اهتمامه بالمجال المتوسطي نظم بنو ميمون حملات بحرية على السواحل الإيبيرية الأطلسية، كما حدث في عام 1120م عندما سير محمد بن ميمون قائد أسطول ألمرية بمعية عيسى بن ميمون قائد الوحدة البحرية لإشبيلية حملة على سواحل غاليسيا[85].

إن هذه الأعمال الحربية تدل بما فيه الكفاية على العناية البالغة التي أولاها المرابطون للبحر و للجهاد البحري. فعلى الرغم مما قيل عن ضعف الأسطول المرابطي و بطئه في التحرك لإغاثة الجزر الشرقية عام 508-509ه/1114-1116م أو لتخليص المهدية من الحصار النورماندي سنة 517ه/1123م[86]، فإن ذلك لا يقلل من قيمة و أهمية السياسة البحرية في السياسة العامة للدولة المرابطية. و الواقع أن سياسة الجهاد التي تبنتها الدولة اللمتونية لم تقتصر على الغزو البحري، بل شملت أيضا الرباط و المرابطة، و خير دليل على ذلك سلسلة الرباطات و المحارس التي انتشرت في أيامهم على طول السواحل المغربية والأندلسية، وأهمها

---

[82]- رحلة التجاني، ص339.
[83]- نفسه، ص.ن.
[84]- ابن خلدون، العبر، م6، ص331.
[85] - PICARD, La mer, op.cit., p. 62.
[86] - Ibidem

المحرس أو الطالع العظيم الذي بناه المرابطون على جبل المينا (سبتة) ليشرف على العدوتين إلى بادس من بر الريف و إلى طرف القسيس من مالقة شرقا و إلى ما وراء طريف غربا إلى طرف شنيل من بر الأندلس، **"فلا يخفى عليه من الزقاق شيء "**[87].

3- الهجمة المسيحية على سواحل المغرب الإسلامي

في الفترة الممتدة من 529ه/1135م إلى 547ه/1152م تراجع النفوذ المغربي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط. فقد استغلت القوى المسيحية انشغال المغاربة و الأندلسيين بالصراع المرابطي الموحدي و كثفوا هجماتهم على القواعد الإفريقية و المغربية والأندلسية، بل تمكنوا من الاستيلاء على العديد من مراسي المغرب الإسلامي. وقد تزامنت أشرس الحملات المسيحية مع الحملة الصليبية الثانية(1146-1148م) .

بدأت الهجمة النورماندية سنة 529ه/1135م وتوجت باستيلاء أساطيل وقوات روجار الثاني بقيادة جرجي بن مناسل على قواعد جربة (540ه/1145م)[88]، وطرابلس(541ه/1146م)[89]، والمهدية (543ه/1148م)[90] وسوسة، و قابس وبونة أو عنابة (547ه/1152م)[91]. وبذلك، يقول ابن خلدون: " **استولى رجار صاحب صقلية على بلاد الساحل كلها ووضع على أهلها الجزى** "[92].

وإذا ما اعتبرنا أن كلمة مجوس تعني النورمانديين تبين لنا أن الهجمة النورماندية لم تقتصر على سواحل إفريقية، بل شملت أيضا سواحل المغرب، وكان

---

[87]- الأنصاري، اختصار الأخبار، م.س.، صص33-34.

[88]- رحلة التجاني، ص126.

[89] - PICARD, La mer, op.cit., p.73.

[90]- رحلة التجاني، صص340-341.

[91]- PICARD, op.cit., p.73.

[92]- ابن خلدون، العبر، 6، ص332.

ذلك عام 538ه/1143م حيث **" وصلت قراقر المجوس في مائة و خمسين مركبا بين كبار وصغار إلى سبتة فخرجت إليها أجفانها فقتل من الفريقين خلق كثير"**[93].

وفي نفس الفترة تعرضت جزر البليار والساحل الشمالي الشرقي للأندلس لهجمات مسيحية شاركت فيها أساطيل و قوات جنوة و بيزة وبرشلونة وأربونة بالإضافة إلى قوات قشتالة و نابارا و جيليقية و اشتوريش ، ومن أخطر نتائجها سقوط ألمرية في يد ملك قشتالة ألفونصو السابع (542ه/1147م) واستيلاء قمط برشلونة برنغير الرابع على طرطوشة(543ه/1148م)[94]. و بموازاة مع ذلك تمكن البرتغاليون من إخضاع شنترين و التحكم في أشبونة (542ه/1147م) بمساعدة أساطيل و قوات صليبية كانت متجهة من موانئ شمال غرب أوروبا إلى مراسي بلاد الشام[95] للمشاركة في الحملة الصليبية الثانية .

كل ذلك حدث و المغرب الإسلامي يعيش على إيقاع الأزمة المترتبة عن الصراع المرابطي الموحدي الذي توج سنة 541ه/1147م بانهيار الدولة المرابطية و قيام الدولة الموحدية التي عمل خلفاؤها على تطوير الأسطول و فرض النفوذ المغربي على معظم سواحل و مياه الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

المحور الثاني: البحرية الموحدية

---

[93]- ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص103.

[94] - B. GARI, « Pisa y el control del Mediterraneo nord occidental, Carta de los consules de Pisa a Ramon Berenguer a mediados del siglo XII », en MEDIEVALIA, 1992, pp. 14 et sq ; Rafael. SANCHEZ SESA, « La cronistica toscana bajomedieval y la imagen de la Peninsula Iberica », En La Espana Medieval, Madrid, 1997, pp. 39-40 ;

يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمه عن الألمانية ووضع حواشيه محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1958، ج1، ص225.

[95]- محمود سعيد عمران، " حولية سقوط لشبونة 1147م، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال العصور الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط : ندوات ومناظرات رقم 48، الرباط، 1995، صص13-29.

1- طور التأسيس و توحيد الغرب الإسلامي

1-1- مواقف بني ميمون قادة الأسطول وبداية فتح الأندلس:

إذا ما ارتكنا إلى رواية ابن عذاري، يمكن القول بأن محمد بن ميمون ظل مخلصا للمرابطين، إذ حاول مساعدة تاشفين بن علي على الفرار من قبضة الموحدين الذين حاصروه في وهران، وهي المحاولة التي انتهت بسقوط الأمير المرابطي في الحافة وموته سنة 539ه[96] . ولم يرد محمد بن ميمون القيام بأي عمل من شأنه أن يعكر علاقته بالملثمين في الأندلس، وفضل أن يهب حياته للجهاد البحري إلى درجة أنه رفض، عند انهيار الدولة المرابطية، ولاية ألمرية قائلا لأهل المدينة الذين عرضوها عليه : **" إنما أنا رجل منكم، ووظيفتي البحر وبه عرفت؛ فكل عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به؛ فقدموا على أنفسكم من شئتم غيري "**[97]. ويبدو أن قائد أسطول البحر الأبيض المتوسط ظل مخلصا لبني غانية ولاة الملثمين على الأندلس وجزر البليار، إذ يذكر ابن الخطيب إقدام **" محمد بن ميمون صاحب الأسطول وصنيعة الملثمين الممتسك بدعوتهم"** سنة 539ه على مساعدة عبد الله بن حمو بن غانية – الذي فر من شاطبة حيث كان يحاصره القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز- على العبور من ألمرية إلى ميورقة[98]. ومما يدل على أن محمد بن ميمون لم يكتف بمساعدة بني غانية على النجاة من الفتنة والوقوع في قبضة أعدائهم، بل قدم لهم المساعدة في مواجهة مناوئيهم، ومن ذلك إقدامه، حسب ابن الأبار، على القبض على ابن عبد العزيز صاحب بلنسية وتسليمه إلى حكام جزر البليار، وهو السلوك الذي جر على صاحب الأسطول نقمة الناس[99].

---

[96]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق الأساتذة محمد إبراهيم الكتاني ومحمد زنيبر ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، الطبعة الأولى، دالر الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص104.

[97]- المراكشي، المعجب، بيروت، 2006، ص155.

[98]- لسان الدين بن الخطيب، كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ.ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت، 1956، ص256.

[99]- ابن الأبار، كتاب الحلة السيراء، ج2، ص222.

وبالإضافة إلى محمد ظل أخوه لب بن ميمون في خدمة بني غانية في جزر البليار، ولم يلتحق بالموحدين إلا في بداية ولاية إسحاق بن غانية (546ه-580ه) على ميورقة[100].

بالنسبة لقادة أسطول غرب الأندلس، يبدو أن عيسى بن ميمون انشق عن الملثمين، وتم القبض عليه ووضعه في سجن قرمونة قبل أن يطلق يحيى بن علي ابن غانية سراحه بعد أن توسط له يحيى بن أبي بكر الصحراوي بموجب اتفاق مع ابنه علي بن عيسى بن ميمون، وبمجرد إطلاق سراحله انتزى بقاعدة شنتمرية الغرب[101].

سار علي بن عيسى بن ميمون على خطى أبيه حيث ثار بقادس [102]، ولكنه سرعان ما أعلن البيعة لعبد المؤمن عام 540ه/1145م[103] بعد أن أخضع الهوحدون مراسي غساسة و بادس و مليلية و هنين ووهران(537-539)[104] وبايع أهل سبتة الخليفة الموحدي (540ه/1145م)[105]. وقد انعكست هذه التحولات إيجابا على النفوذ الموحدي في جنوب الأندلس؛ فبفضل انخراط قائد البحر علي بن عيسى في الدعوة للموحدين وخطبته لعبد المومن في قاعدة قادس، حصل عبد المؤمن على طاعة أحمد بن قسي زعيم المريدين في غرب الأندلس الذي أجازه صاحب الأسطول في غراب هو وأصحابه من مرتلة إلى سبتة التي غادرها للقاء الخليفه ومبايعته بجبل العرض قرب فاس أو بسلا [106]، كما حصل عبد المؤمن على بيعة الثوار الأندلسيين في شريش، ورندة، وأركش [107]. ومن المحتمل أن قطع أسطول علي بن عيسى بن ميمون سخرت في نقل القوات الموحدية من الضفة الجنوبية إلى الضفة الشمالية للمضيق حيث تمكنت، في شهر محرم عام

---

[100]- ابن خلدون، العبر،ج6، ص506.

[101]- ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص39.

[102]- يقدم المقري علي بن عيسى قائد البحر بقادس والثائر بها على المرابطين كابن أخت القائد أبي عبد الله محمد بن ميمون، وهذا ما ينفي أخوة عيسى ومحمد، اللهم إلا إذا كان المقري مخطئا، أنظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه ووضع حواشيه يوسف الشيخ محمد البقاعي، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1986.

[103]- عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص249.

[104]- البيدق، أخبار المهدي، صص54-56.

[105]- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص24.

[106]- نفسه، ص34-35. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص199.

[107]- ابن عذاري، البيان المغرب، ص35.

541ه/1146م من انتزاع طريف والجزيرة الخضراء التي غادرتها الحامية المرابطية نحو إشبيلية، والدخول إلى رندة وشريش بموافقة صاحبهما الأندلسي ابن عزون، والتقدم نحو لبلة التي أجبر صاحبها البطروجي على إعلان الولاء والطاعة، والسيطرة على قواعد غرب الأندلس، وعلى رأسها مرتلة وشلب اللتان انتزعتا من سدراي ابن الوزير وسلمتا لابن قسي؛ وتوجت الحملة العسكرية الموحدية باستسلام طلياطة وحصن القصر ومنطقة الشرف، وخاصة قاعدة إشبيلية التي فتحت يوم الأربعاء 12 شعبان 541ه/1147م بعد حصار بري وبحري[108].

ويبدو أن مواقف علي بن عيسى بن ميمون صاحب الأسطول من الصراع المرابطي الموحدي تغيرت وفقا لما تمليه مصالحه. ولعل ما يدل على ذلك موافقته على نقل الوالي المرابطي على فاس يحيى بن أبي بكر الصحراوي من طنجة إلى الأندلس بغية الالتحاق بالوالي المرابطي يحيى بن علي بن غانية المقيم بقرطبة. وهو الأمر الذي ذكره ابن عذاري في قوله: " **وكان الصحراوي لما فر من فاس توجه إلى طنجة مع من كان معه من لمتونة [وغيرهم] قيل أنهم كانوا في ثلاثمائة رجل فأقاموا بها خمسة أشهر في أسوأ حال من شدة الضيق وغلاء السعر ثم إن قائد الأسطول علي بن عيسى وصل إلى طنجة بالقطائع من بادس فاجتمع مع الصحراوي وأظهر له النصح ولأصحابه وأن يجوزهم إلى الأندلس برسم يحيى بن غانية فتعاقدوا معه على ذلك فقذف بهم إلى مرسى شريش وغدرهم**"[109].

ونظرا لما لهذا السلوك الانتهازي لصاحب الأسطول من تأثير على مجريات الأحداث، حرص ابن عذاري على إعطاء مزيد من التفاصيل حول الأهداف الحقيقية الكامنة وراءه والمتمثلة في الحصول على المال وإطلاق سراح أبيه عيسى المعتقل في قرمونة، كما يستشف ذلك من قول المؤرخ السالف الذكر: " **ولما فتح الموحدون مدينة فاس واستقروا بها فر يحيى الصحراوي صاحبها واستقر بطنجة، ثم جاز البحر إلى الأندلس برغبته إلى قائد البحر علي بن عيسى بجزيرة قادس، فأجازه القائد المذكور وأجاز أصحابه اللمتونيين والروم الذين كانوا معه**

---

[108]- نفسه، صص 33 و35. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، صص200 و271.
[109]- نفسه، ص26.

إلى جزيرة قادس، فاشترط القائد على يحيى هذا أنه إذا وصل قرطبة إلى ابن غانية أن يشفع في عيسى والده ويخرجه من سجنه بقرمونة ويسرحه إليه، فضمن له ابن الصحراوي ذلك، فلما أجازه علي عزم على أن يأخذ خيلهم وما بقي عندهم من مال ورجال. وقد كان أعطاه مالا كثيرا، ففهم يحيى عنه ذلك، ففر إلى ابن غانية بقرطبة فاستقر عنده، وأطلق والد علي المذكور، ووفى له "[110].

ومن الواضح أن تقلبات قائد الأسطول ارتبطت بهشاشة النفوذ الموحدي في العدوتين. ففي العدوة الأندلسية لم تكن مدن قرطبة، وغرناطة، وجيان، وأنتقيرة، ومالقة والمنكب، وألمرية وغيرها من القواعد البرية والبحرية الأساسية في وسط وشرق الأندلس قد خضعت بعد لسلطة الموحدين. بل إن الأمر ازداد سوء بسبب السلوك المشين لأخوي المهدي بن تومرت عبد العزيز وعيسى حيث خرجت لبلة وإشبيلية عن طاعة الموحدين، وحدت حدوها قواعد غرب الأندلس مثل مرتلة، وشلب، وطبيرة وشنتمرية الغرب، وفتحت الجزيرة الخضراء أبوابها ليحيى بن غانية؛ وبالتالي اقتصر النفوذ الموحدي في الضفة الشمالية للمضيق على بعض القواعد الصغيرة مثل شريش ورندة [111]. وفي العدوة المغربية ثار أهل سبتة على الوالي الموحدي يوسف بن مخلوف التنيمللي، وقتلوه ومن معه بالقصبة، وعبر القاضي عياض المجاز إلى الجزيرة الخضراء للقاء ابن غانية، وعاد وبرفقته يحيى الصحراوي واليا على سبتة [112]؛ ولم تقتصر الثورة على سبتة، بل شملت أيضا طنجة وبلاد الهبط وسلا وقواعد أخرى[113].

إن تحركات القاضي عياض والصحراوي في مضيق جبل طارق دون أي عوائق تدفع إلى الاعتقاد بأن علي بن عيسى بن ميمون لم يكن مخلصا في بيعته للخليفة الموحدي، بل كان يؤثر مصالحه المادية، ومن ذلك تقاعسه عن تقديم الدعم للمحاصرين بإشبيلية من قبل المرابطين والبطروجي صاحب لبلة، بل وقيامه بأعمال القطع البحري، وهي التهم التي كالها له الخليفة الموحدي عبد المؤمن في

---

[110]- نفسه، ص33.
[111]- ابن عذاري، البيان المغرب، ص38. ابن خلدون، العبر، م6، ص487.
[112]- ابن عذاري، البيان المغرب، ص32. ابن خلدون، العبر، م6، ص484. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص246-247.
[113]- البيدق، أخبار المهدي، ص67.

إحدى رسائله : " **وامتنع علي بن عيسى بن ميمون القائد من توصيل الأطعمة والأقوات إلى إشبيلة في البحر، إذ كان قائد البحر مالكا له، لا تجري جارية فيه خوفا منه، لاستباحته أموال التجار ودمائهم الين يسوقون الأقوات ويتصرفون في مصالح المسلمين، يقتلهم بسيفه، ويسقيهم الموت من خوفه. وبقيت إشبيلية محصورة برا وبحرا والناس بها في شدة عظيمة من عدم القوت حتى بيعت خبزة بدرهم ونصف، وبيع قدح القمح بستة وثلاثين درهما، وباع الناس أمولهم بإشبيلية بالأيسر اليسير، واستوى الغني بها والفقير، وبيع أصل زيتون بالشرف بنصف درهم، ودار تساوي مائة دينار بعشرة دراهم**"[114].

ولعل هذه المواقف المتدبدبة من الصراع بين الموحدين وأعدائهم في العدوتين كانت سببا في النهاية المؤلمة لقائد الأسطول، إذ يذكر ابن عذاري أن الصحراوي لما عاد إلى سبتة واليا عليها من قبل ابن غانية " **تحيل على القائد علي بن عيسى المذكور واستدعاه إليها وخدعه وقتله**"[115].

2-1- السياسة البحرية لعبد المؤمن:

خلال الفترة التي تلت مقتل علي بن عيسى بن ميمون، تمكن الموحدون من استعادة سلا، وبلاد الهبط وطنجة وأرغموا القاضي عياض وأهل سبتة على تجديد البيعة للخليفة الموحدي[116]، ونجحوا، بمساعدة أبي الغمر ابن عزون صاحب رندة وشريش، في اقتحام الجزيرة الخضراء وقتل من كان بها من الملثمين بعد حصار شارك فيه الأسطول بقيادة أبي محمد عبد الله بن سليمان [117]. وبذلك أضحى المجاز آمنا لعبور الجيش الموحدي بقيادة أبي يعقوب يوسف بن سليمان إلى الأندلس حيث توفق في استعادة إشبيلية، وهاجم حصون وقواعد طلياطة، ولبلة، وطبيرة وشلب، وحاصر شنتمرية الغرب التي قبل صاحبها عيسى بن ميمون الدخول في طاعة الموحدين، وحدا حدوه محمد بن الحجام صاحب بطليوس [118]. وأمام زحف القوات القشتالية على قواعده، قبل يحيى بن غانية تسليم قرطبة وقرمونة بموجب اتفاق

---

[114]- ابن عذاري، البيان المغرب، ص38.
[115]- نفسه، ص33.
[116]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص247.
[117]- ابن عذاري، البيان المغرب، ص39. ابن خلدون، العبر، م6، ص487.
[118]- ابن عذاري، البيان المغرب، صابن خلدون، العبر، م6، ص487-488.

استجة (543ه/1148م). وبفضل التعاون بين قوات بني عبد المومن وحلفائهم الأندلسيين أرغم ملك قشتالة ألفونصو السابع على الجلاء عن قرطبة سنة 544ه/1149م التي شهدت أيضا إخضاع جيان [119]. ويبدو أن تلك الإنجازات العسكرية أقنعت ثوار غرب الأندلس بضرورة الانصياع للموحدين حيث سافر ابن عزون صاحب شريش ورندة، والبطروجي صاحب لبلة، وسدراي بن وزير صاحب باجة ويابورة، وابن منيب صاحب طبيرة، وابن الحجام صاحب بطليوس إلى سلا عام 545ه/1150م لتقديم البيعة لعبد المؤمن التي لم يتخلف عنها سوى ابن قسي وأهل شلب[120].

وبذلك استتب الأمر مؤقتا ونسبيا للموحدين، وأضحى بإمكان عبد المؤمن وضع الخطط الحربية وتقوية الأساطيل باتخاذ مجموعة من الإجراءات وتنظيم العديد من الحملات التي برز خلالها التنسيق بين القوات البرية والأساطيل البحرية. وقد ارتكزت الساسية البحرية المؤمنية على ما يلي:

أولا: - اختيار مدينة سبتة ذات الموقع الإستراتيجي لتكون قاعدة للأسطول وتعيين الشيخ عبد الله بن سليمان قائدا للبحرية الموحدية ووالیا على مدينة سبتة وبلاد غمارة. وبذلك أضحى أسطول سبتة بقيادة ابن سليمان يقوم بأدوار طلائعية في السياسة البحرية لعبد المؤمن كما تؤكد ذلك الأحداث التالية:

في سنة 546-547ه/1150-1151م شارك أسطول عمر وجهز بسبتة بقيادة أبي محمد عبد الله بن سليمان صاحب إمارة البحر في الحملة البحرية البرية التي قادها عبد المؤمن وتوجت بهزيمة بني حماد واستيلاء الموحدين على مدنهم وعلى رأسها القاعدة البحرية الهامة بجاية[121].

وما بين 544 و 548 للهجرة قاد عبد الله بن سليمان انطلاقا من مرسى سبتة حملة بحرية على مراسي مالقة والمنكب وألمرية، إذ ذكر عبد المؤمن في رسالته إلى طلبة سبتة أن " **عبد الله بن سليمان وأصحابه النافذين معه في القطائع**" ركبوا

---

[119]- ابن خلدون، العبر، م6، ص488؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد 11، دار صادر، بيروت 1979، ص150-151.

[120]- ابن خلدون، العبر، م6، ص489.

[121]- البيدق، أخبار المهدي، صص 74-75؛ ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، صص 45-46. حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك بن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درسه وقدم له وحققه محمود علي مكي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص186.

البحر من سبتة، وحاولوا انتزاع مالقة والمنكب من يد الثوار الأندلسيين، ثم تابعوا حملتهم البحرية، فهاجموا ألمرية التي كان المسيحيون فيها على علم بوصولهم حيث أسرعوا في جمع " **شخاتيرهم وتفريغها من وسقها ومحمولها"** ، وشحنوها بالأسلحة والرجال، وربطوها بالحبال إلى البر وتحصنوا بها. إلا أن ذلك لم يمنع قطع الأسطول الموحدي من الدخول إلى مرسى ألمرية حيث أقدم رجال الأسطول على قطع حبال السفن وإرغام المسيحيين على الفرار وتعريضهم للقتل. ولم يتوقف رجال القطائع عند هذا الحد، بل توغلوا داخل المدينة حتى المسجد الجامع، وأحرقوا العديد من المنشآت. وقبل الانصراف إلى مراكبهم، استولوا على ما كان بالمرسى من سفن (أغربة وشخاتير) وآلات حربية، وأحرقوا ما لم يستطيعوا جلبه. وتشير الرسالة أيضا إلى الأمر الذي أصدره عبد المؤمن إلى الحفاظ ورجال البحر بضرورة خنق مالقة اقتصاديا عبر ردع التجار ومنعهم من حمل المرافق إليها[122].ولعل هذا الحصار البحري، وكذا الضغط العسكري البري الذي تضاعفت وطأته بعد استيلاء الموحدين على قاعدتي وادي آش وبسطة سنة 546ه وما ترتب عنهما من ضائقة اقتصادية قد ساهما في ثورة أهل مالقة وتسليم تلك القاعدة البحرية لبني عبد المؤمن سنة 548ه بعد انتحار حاكمها ابن حسون[123].

وفي سنة 549ه توجه عبد الله بن سليمان من سبتة إلى إشبيلية بأمر من عبد المؤمن للقبض على يحيى بن يغمور صاحب إشبيلية الذي عاقب أهل لبلة على تحالفهم مع الوهبي، وقتلهم رغم اعتذارهم عن فعلتهم تلك[124].

ثانيا:- إخضاع سبتة وطنجة لسلطة الأمير أبي سعيد عثمان. فقد ذكر ابن أبي زرع أن الخليفة عبد المؤمن " **ولى السيد عثمان سبتة وطنجة وأصحبه عبد الله بن سليمان"** . ويبدو أن هذا الإجراء كرس أهمية المدينتين على المستويين الإستراتيجي والعسكري، وأرسى تقليدا ظل متبعا فيما بعد من قبل بني عبد المومن كما نستشف ذلك من قول ابن خلدون: **" كانت هاتان المدينتان سبتة وطنجة مذ أول**

---

[122]- عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، م.س.، ص249.
[123]- أحمد عزاوي، رسائل موحدية جديدة
[124]- ابن خلدون، العبر، م6، ص192.

دولة الموحدين من أعظم عمالاتهم وأكبر ممالكهم، بما كانت ثغر العدوة ومرقى الأساطيل، ودار إنشاء الآلة البحرية، وفرضة الجواز إلى الجهاد. فكانت ولايتها مختصة بالقرابة من السادة بني عبد المؤمن".

ثالثا:- خلق ولاية عسكرية بحرية تحت سلطة الأمير أبي سعيد عثمان تشمل سبتة وطنجة وبلاد غمارة وساحل الأندلس الذي يضم كلا من الجزيرة الخضراء وطريف ومالقة، بغاية ضمان استمرار المواصلات البحرية عبر المضيق، وكذا الإشراف على **"إنشاء الأسطول في جميع البلاد الصالحة للإنشاء"** في إطار الاستعدادات الجارية ل**"غزو أعداء الله برا وبحرا في كافة الأنحاء والأرجاء"**[125].

وقد شكل وضع طريف والجزيرة الخضراء وخاصة مالقة ضمن أعمال سبتة تهديدا إضافيا على ميمون بن يدر اللمتوني صاحب غرناطة الذي سارع إلى تسليم المدينة لعبد الله بن سليمان صاحب الأسطول الذي عبر البحر من سبتة إلى الجزيرة الخضراء ونهض منها إلى غرناطة حيث لحق به الأمير أبو سعيد عثمان تنفيذا لأمر الخليفة بضم المدينة إلى ما بيده من عمل سبتة[126].

وبذلك أضحى أبو سعيد عثمان يتحكم إداريا وعسكريا في منطقة شاسعة تمتد على ضفتي بحر الزقاق بحيث تضم في العدوة الأندلسية أعمال الجزيرة الخضراء وطريف، ومالقة وغرناطة، وتشمل في العدوة المغربية مراسي غساسة، وبادس، وتيكساس، وسبتة، وقصر المجاز (القصر الصغير)، وطنجة، وأصيلا، والعرائش، وقواعد تطوان، وقصر كتامة (القصر الكبير) وأسجن [127]. فالأمر لا يتعلق بمجال شاسع وبقواعد برية وبحرية فقط، بل بمنطقة غنية بكل ما يلزم لبناء الأساطيل وتجهيزها وتسليح الجيوش من أخشاب ومعادن ودور صناعة وفعلة وصناع[128].

فبالاعتماد على الإمكانيات المتوفرة استطاع الأمير عثمان إعداد الجيوش والأساطيل وتنفيذ أوامر عبد المؤمن بتنظيم حملة عسكرية على قاعدة ألمرية التي

---

[125]- رسائل ديوانية موحدية، جمع وتحقيق أحمد عزاوي، الطبعة الأولى، الرباط، 2006، ص77-78 .
Jamal Eddine ARBACH, Le domaine maritime en Occident musulman à l'époque almohade (XIIe-XIIIe siècles), Thèse de Doctorat Nouveau Régime, Université de Toulouse Le Mirail, 1995, t.1, pp. 79-81.

[126]- ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص55.

[127]- ابن خلدون، العبر، القسم 1، المجلد السادس، ص436.

[128]- أنظر ما سبق الصفحات 6-9.

كانت تشكل تهديدا خطيرا للوجود الإسلامي في الأندلس والحوض الغربي للبحر المتوسط، **" لكونها ناظمة بين الجهات الشرقية والغربية، ورابطة بين البلاد البرية والبحرية".** وقد توج الحصار الذي شاركت فيه قوات برية انطلقت من غرناطة وإمدادات عبرت من العدوة المغربية وأسطول وصل من سبتة و **" فيه خلق كثير من المسلمين"**، بموافقة النصارى على تسليم القصبة لأبي سعيد عثمان أواخر عام 552ه/1157م مقابل الأمان على أرواحهم والسماح لهم بالعودة بحرا إلى بلادهم بعد احتلالهم لألمرية زهاء عشر سنوات. وبمجرد الانتهاء من أمر ألمرية، استغل الموحدون موت ألفونصو السابع، واستولوا على قاعدتي بياسة وأبدة.

رابعا:- اختيار إشبيلية قاعدة لولاية غرب الأندلس وتعيين الأمير يوسف واليا عليها. فبفضل القوات البرية المرابطة في إشبيلية وبدعم من الأسطول تمكن الموحدون (عام 552ه/1157م) بقيادة السيد يوسف والوزير أبي جعفر بن عطية من انتزاع قاعدة شلب وأحوازها من يد الثائر سدراي ابن الوزير وحصن مرتلة من حوزة تاشفين اللمتوني. وبعد حصار بري وبحري دام مدة شهرين كاملين وافق قادة الحملة على اقتراح الوهيبي صاحب قاعدة طبيرة القاضي بالدعوة للموحدين في الخطبة[129].

خامسا:- **إنشاء سفن ومراكب جديدة.** ففي إطار تهييء الظروف وتوفير الوسائل اللازمة بغية تنظيم حملة عسكرية برية وبحرية لتحرير مهدية إفريقية من الاحتلال النورمندي حيث **" أمر أهل البلاد البحرية بإنشاء الأساطيل والأجفان "**[130] وبالفعل، فبالإضافة إلى أعداد ضخمة من المقاتلين، بلغ عدد قطع الأسطول الذي شارك في حملة إفريقية (554-555ه/1159-1160م) حوالي سبعين شينيا و طريدة و شلندي بقيادة محمد بن عبد العزيز بن ميمون و ابن الخراط و أبي الحسن الشاطبي و**" غيرهم من المتمرسين في شؤون الأسطول و البحر "**[131]. ورغم قلة قطعه أسهم الأسطول الموحدي ، بتنسيق مع القوات البرية، في حملة إفريقية وفي حصار

---

[129]- ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص56-57.
[130]- نفسه، ص61
[131]- رحلة التجاني، م.س.، ص347.

المهدية عبر نقل **" الآلات و المجانيق و العدد"** اللازمة للحصار[132] ومنع وصول الإمدادات إلى المحاصرين و إلحاق الهزيمة بالأسطول النورماندي الكبير(150 شيني غير الطرائد) الذي أرسله ملك صقلية وليام بن روجار (1154-1166م) لإنقاذ المدينة و الذي أجبرعلى العودة إلى قواعده تاركا ثماني قطع بحرية منها سبع شواني في يد المغاربة [133]. ومن المحتمل جدا أن لواء من الأسطول النورماندي بقيادة أحمد الصقلي قد انضم إلى الأسطول الموحدي كما يستشف ذلك من قول البيدق : **" ووحد الصقلي بالقطائع[134].**

بفضل هذا الانتصار الباهر تمكن الموحدون من إدخال اليأس إلى نفوس قادة القوات النورماندية المحاصرة من إمكانية الحصول على دعم الأسطول النورماندي، فاقتنعوا بضرورة تسليم المدينة للخليفة الموحدي مقابل إمكانية العودة إلى بلادهم في أمان . و هذا ما تم بالفعل بعد سبعة أشهر من الحصار [135]، إذ يقول التجاني **: " فأعطاهم(الخليفة) ما أرادوا و جهزهم في سفن إلى بلادهم و كان الفصل شاتيا، فلما قربوا إلى صقلية هال البحر عليهم فهلك أكثرهم . و تسلم عبد المومن المهدية و عاد إليها الإسلام في يوم عاشوراء من سنة خمس و خمسين " [136].**

وبعد استسلام المهدية أعلنت بقية المراسي و القواعد البحرية بإفريقية كسوسة وقابس و طرابلس و غيرها بيعتها للخليفة الموحدي[137] .

لا شك أن إنجازات الأسطول في حملة المهدية و إفريقية قد دفع الخليفة الموحدي الأول إلى مزيد من الاهتمام بالسياسة البحرية بهدف إنشاء قوة بحرية قادرة على حماية السواحل الأطلسية و المتوسطية للإمبراطورية الموحدية. ولعل ما شجع عبد المؤمن على المضي قدما في بناء الأسطول الموحدي وجود عدد هائل من أوراش بناء السفن و صناعة الآلات والمعدات البحرية، فبالإضافة إلى ترسانات الأندلس(دانية، ألمرية، القنت، الجزيرة الخضراء، إشبيلية، شلطيش، شلب)

---

[132]- ابن عذاري، م.س.، قسم الموحدين، ص62.
[133]- رحلة التجاني، صص348-349.
[134]- البيدق، أخبار المهدي، م.س.، ص80.
[135]- رحلة التجاني، ص349.
[136]- نفسه، ص.ن.
[137]- نفسه، صص30، 101، 242-243.

والمغرب الأقصى(طنجة، قصر مصمودة، سبتة...)، أصبح الموحدون سنة 555ه/1160م يتحكمون في أوراش المغرب الأوسط و إفريقية التي بلغ عددها على الأقل ستة . فبالإضافة إلى ترسانات تونس والمهدية و سوسة و طرابلس التي ذكرناها سابقا أشارت المصادر إلى :

- ترسانة مرسى الخزر(شرقي بونة: عنابة) التي ذكرها البكري في قوله **:" في هذه المدينة تنشأ السفن و المراكب الحربية التي يغزى بها إلى بلاد الروم . و إلى هذه المدينة يقصد الغزاة من كل أفق لأن مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجرأين "**[138]. ومما لا شك فيه أن ترسانة مرسى الخزر قد استعملت أخشاب منطقة بونة التي قال بشأنها الإدريسي **:" فيها كثير من الخشب موجود جيد الصفة"**[139]. وقد اشتهرت قاعدة مرسى الخزر أيضا بصناعة الخيوط والحبال من مادة القنب.

- ترسانة بجاية التي تعددت اختصاصاتها و استفادت كثيرا من قرب مصادر المواد الأولية من خشب و حديد و زفت و قطران كما أشار إلى ذلك الإدريسي في قوله : **" و بها (بجاية) دار صناعة لإنشاء الأساطيل و المراكب و السفن و الحرابي لأن بها الخشب في جبالها و أوديتها كثير موجود و يجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة و القطران و بها معادن الحديد الطيب موجودة و ممكنة"**[140].

سادسا:- إنشاء دور صناعة جديدة. فبالإضافة إلى دور الإنشاء الموروثة عن الدول السابقة عرف عصر عبد المؤمن بن علي الكومي بناء دار صناعة جديدة هامة في المعمورة (المهدية) عند مصب وادي سبو قرب غابة المعمورة [141] و أخرى متخصصة في صناعة القوارب والسفن الصغار **" بالموضع المعروف**

---

[138]- البكري، المسالك والممالك، م.س.، ص708.

[139]- ألإدريسي، نزهة المشتاق، م.س.، م1، ص291.

[140]- نفسه، ص260.

[141]- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1979، صص210-211.

بالحبالات من أرض بن عبودة التي بقرب ملقى وادي فاس" [142]. وإذا ما صدقنا رواية ابن أبي زرع، يمكن القول بأن عصر عبد المؤمن شهد أيضا استخدام دارين لصناعة وتجهيز السفن في مرسيي بادس بساحل الريف وهنين بساحل تلمسان [143].

ومن المؤكد أن هذين المرفأين كانا، في القرنين 9و10ه/15-16م، مجهزين بدارين لصناعة الزوارق والسفن الشراعية وغيرها من المراكب[144]. وبذلك أصبحت الدولة الموحدية- سلطات عليا مركزية وسلطات محلية - تراقب العديد من الترسانات البحرية التي ما كان لها أن تنشط لولا توفر المواد الأولية و التقنيين و اليد العاملة المدربة و المتخصصة في صناعات شتى، و خاصة في النجارة نظرا لحاجة صناعة **" إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح و الدسر (...) و المجاديف " إلى صناعة النجارة و " إلى جزء كبير من الهندسة في جميع أصنافها "**[145].

سابعا: - إنشاء مدينة محصنة بجبل الفتح (جبل طارق) في موضع يطل على خليج الجزيرة الخضراء" **بسيف البحر مما يلاسقه ويليه"** حيث يتوفر الماء ويوجد مرسى يحمي من الرياح. وقد كان عبد المؤمن الذي عبر الزقاق من سبتة إلى مرفأ جبل طارق في ذي القعدة عام 555ه/نونبر 1160م حيث قضى شهرين تقريبا راقب خلالهما أشغال البناء، يهدف من وراء تشييد مدينة الفتح إلى:

- إنشاء مرفأ جديد يمكن للسفن الحربية الموحدية الرسو فيه بعيدا عن ميناءي الجزيرة الخضراء وطريف المكتظين بالمسافرين.

- تأسيس مدينة ملكية تكون رمزا لسلطة الخليفة ولنفوذ الموحدين في بلاد الأندلس، ومنزلا للخليفة وحاشيته عند عبور المضيق برسم الجهاد، ومكانا محصنا لتجميع القوات وإبقائها معزولة عن التجمعات السكنية الأندلسية.

ثامنا: - تقوية البحرية الموحدية

---

[142]- علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، المطبعة الملكية – الرباط، 1991، ص37؛ عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص267.

143

144

[145]- ابن خلدون، المقدمة، م.س.، ص323.

في إطار الاستعدادات الجارية لتنظيم حملة برية وبحرية ضخمة ضد النصارى في شبه الجزيرة الأيبيرية أصدر عبد المومن عام 557 للهجرة أوامره بإنشاء و تجهيز أسطول ضخم قدر المؤرخ الموحدي ابن صاحب الصلاة عدد قطعه ب 200 قطعة بحرية **" أعد منها في مرسى المعمورة مائة و عشرون قطعة (...)، وأعد الباقي (...) في أرياف العدوة و الأندلس "**[146]. أما المؤرخ ابن أبي زرع(ق. 8ه/14م) فتحدث عن إنشاء 400 قطعة **" منها في حلق المعمورة و مرساها مئة و عشرون قطعة، و منها في طنجة و سبتة و بادس و مراسي الريف مئة، و منها ببلاد إفريقية ووهران و مرساها هنين مئة قطعة، و منها ببلاد الأندلس ثمانون قطعة..."**[147].

إلا أن الحملة العظمى إلى الأندلس التي كان الخليفة الموحدي الأول **" عزم عليها برا وبحرا "**[148] ألغيت بسبب موت عبد المؤمن في جمادى الثانية سنة 558ه/ماي 1163م وانشغال خليفته أبي يعقوب يوسف بقضايا الخلافة وتخلف بعض إخوته، وعلى رأسهم ابي سعيد عثمان والي قرطبة والأندلس، عن بيعته.

2- المواجهة مع أساطيل البرتغاليين و بني غانية

يذكر ابن خلدون أن قوة الأسطول الموحدي بلغت ذروتها في عهد الخليفة يوسف بن عبد المومن، **"فعلى عهده انتهت أساطيل المسلمين في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل و لا فيما عهدناه"** [149]. ولعل قوة الأسطول الموحدي هي التي جعلت ملك صقلية **" يخافه (يوسف) خوفا شديدا، و يصالحه ويرسل إليه بالإتاوة** سنة 575-576ه/1180-1181م[150].

---

[146]- ابن صاحب الصلاة، م.س.، صص210-211.

[147]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، م.س.، صص200-201.

[148]

[149]- ابن خلدون، م.س.، ص199.

[150]- المراكشي، المعجب، م.س.، صص365-366.

لقد تابع أبو يعقوب يوسف سياسة والده حيث بنى"دار صنعة الإنشاء بسبتة" [151] و" دار صنعة للقطائع " بإشبيلية تتصل من سور القصبة الذي على الوادي بباب القطائع إلى الرجل السفلى المتصلة بباب الكحل [152]، و إليه يرجع الفضل في تحصين إشبيلية عاصمة ولاية الأندلس [153]. ومن أهم قرارات يوسف في الميدان البحري إسناد قيادة أسطول سبتة لغانم بن مردنيش و قيادة أسطول إشبيلية لأبي العباس الصقلي الذي كان ، حسب ابن خلدون، قائدا للأسطول الموحدي [154]. و بذلك أضحت الدولة الموحدية تتوفر على قاعدتين بحريتين هامتين و أسطولين كبيرين مهمتهما حراسة و حماية سواحل الإمبراطورية من هجمات و غارات أساطيل البرتغاليين و حلفائهم و بني غانية سادة جزر البليار، و كذا تنظيم و تنفيذ الحملات البحرية.

تم إسناد قيادة أسطول سبتة لغانم بن مردنيش عام 575ه/1179م حينما كثف البرتغاليون غاراتهم على أراضي الأندلس برا و بحرا . و قد نجح الأسطول بقيادة ابن مردنيش في الإغارة على لشبونة (أشبونة) وإلحاق الهزيمة بالأسطول البرتغالي، إذ يذكر ابن عذاري أنه **" في سنة خمس و سبعين و خمس ماية اشتدت فتنة النصارى في البر و البحر فولى أمير المؤمنين غانم بن مردنيش على الأسطول بسبتة فعبر البحر أولا غازيا مدينة أشبونة تغلب فيها على قطعتين من قطائع الروم وانصرف إلى سبتة"** [155]. وتمثل رد فعل الأسطول البرتغالي في الإغارة على شلطيش، كما جاء ذلك في قول ابن عذاري : **" ثم عبرت بعد ذلك جملة دميمة من الشياطين إلى سلطيش فتغلبوا عليها و أسروا فيها من المسلمين خلقا كثيرا و فك الله أميرهم بالفداء منهم "**[156].

لردع البرتغاليين و نقل الحرب إلى سواحلهم أصدر الخليفة يوسف، و هو في طريقه إلى إفريقية، أوامره لأمير البحر غانم بن مردنيش بمواصلة الإغارة على

---

[151]- الحلل الموشية، م.س.، صص157-158.
[152]- ابن صاحب الصلاة، م.س.، ص515.
[153]- ابن عذاري، م.س.، قسم الموحدين،ص165.
[154]- ابن خلدون، م.س.، ص199.
[155]- ابن عذاري، م.س.، قسم الموحدين، ص140.
[156]- نفسه، ص.ن.

سواحل البرتغال . و بالفعل أقلع الأسطول من سبتة بقيادة غانم و أخيه أبي العلا عام 576ه/1180م و تم إنزال القوات الموحدية في ميناء سان مارتين دو بورتو . إلا أن هذه الحملة التي كان الهدف الاستيلاء على قاعدة بورتو دو موس انتهت بانتصار البرتغاليين بقيادة أمير البحر فواس روبنهو و استشهاد عدد كبير من الموحدين و سقوط غانم و أبي العلا في الأسر، و استيلاء البحرية البرتغالية على تسع قطع من الأسطول الموحدي بمن فيها من النواتية و المقاتلين وانصرفوا إلى أشبونة[157]. و يذكر ابن عذاري أن غانم راسل الخليفة من **" موضع اعتقاله يشكو له سوء حاله فوصل كتابه إلى تلمسان في أول صفر فأمر(الخليفة) في الحين لأبي القمر هلال بن محمد بن مردنيش أن ينصرف إلى حضرة مراكش لينظر في فداء أخيه و أمر بإنشاء الأسطول فلما و صل أبو القمر مراكش حضر المال و بعث به إلى إشبيلية فانصرف الفكاك به و دفعه إلى النصارى و انطلق غانم المذكور من الأسر و أخوه و من كان بقي معه من أصحابه "[158].**

شجع هذا الانتصار، و كذا غياب الخليفة وانشغال جزء هام من القوات البرية و البحرية الموحدية بحملة إفريقية، البرتغاليين على تكثيف غاراتهم البرية و البحرية حيث **" كلب العدو في البر و البحر و كان النصارى من أهل طليطلة و شنترين طول مدة مغيب أمير المؤمنين قد ألحوا على بلاد الأندلس بالنكاية و شن الغارات على القرب و البعد من بلاد الإسلام "** [159]. وتذكر المصادر البرتغالية أن أمير البحر البرتغالي فواس روبنهو خرج سنة 576ه/1180م على رأس فرقة بحرية للإغارة على السواحل الغربية و الجنوبية الغربية للأندلس، و أنه تمكن من عبور مضيق جبل طارق و الدخول إلى ميناء سبتة و إغراق العديد من السفن[160].

لا شك أن الغارات البرتغالية قد أقلقت و أغضبت سكان المغرب و الأندلس إلى درجة جعلتهم ينتظرون بفارغ من الصبر عودة الخليفة من حملته بإفريقية. هذا ما

---

[157]- نفسه، ص143؛
A. HUICI MIRANDA, Historia politica del Imperio almohade, Tetuan, 1956, t.1, pp. 279-280.

[158]- ابن عذاري، م.س.، قسم الموحدين، ص143.

[159]- نفسه، ص.ن.

[160] - PICARD, La mer, op.cit., p.78.

عبر عنه ابن عذاري في قوله **: " فلما و صلت البشائر بوفادة أمير المؤمنين نشطت النفوس لجهاد أعداء الله الكفار فأبلوا فيهم بلاء ممن أخذ بالثأر "**[161].

و بالفعل، تم سنة 577ه/1181م تنظيم حملة بحرية قادها والي سبتة عبد الله بن جامع و أمير البحر أبو العباس أحمد الصقلي و شارك فيها حوالي 40 أو 54 قطعة من أسطولي سبتة و إشبيلية، و انتهت الحملة بانتصار الأسطول الموحدي على نظيره البرتغالي في مياه رأس اسبيشل حيث لقي القائد البرتغالي روبنهو حتفه واستولى المغاربة و الأندلسيون على 20 سفينة برتغالية مع الأسلاب والأسلحة[162].

في الواقع لم تحسم هذه الموقعة البحرية و ما صاحبها من هجمات برية الصراع المغربي البرتغالي، إذ استمرت الحرب سجالا بين الطرفين في البر و البحر . ولهذا عزم الخليفة أبو يعقوب يوسف على أن يقود غزو البرتغال بنفسه، و حشد لهذه الغاية قات عظيمة و أسطولا ضخما من سفن القتال و مراكب النقل لشحن آلات الحصار و المؤن و السلاح و الخيول بقيادة أبي العباس أحمد الصقلي. ثم عبر البحر من سبتة إلى جبل الفتح(جبل طارق) يوم الخميس 5 صفر 580ه/1184م و سار إلى الجزيرة الخضراء و منها على إشبيلية التي دخلها يوم 13 صفر من نفس السنة. وكانت خطة الخليفة الموحدي تقضي بمهاجمة مدينة لشبونة برا ومحاصرتها بحرا من جهة مصب نهر التاجو، ثم فضل ضرب الحصار حول شنترين أولا و استطاع إخضاع كل أجزاء المدينة ما عدا القصبة التي طال حصارها. فأمر الخليفة برحيل جل قواته إلى لشبونة لمساعدة الأسطول المحاصر لها، و هو الأمر الذي استغلته حامية قصبة شنترين للخروج فجأة أثناء الليل و الانقضاض على معسكر الخليفة الذي أصيب بجراح قاتلة استشهد على إثرها في ربيع الأول سنة 580ه/1184م[163]. ولا في أن ما حدث للخليفة أثر على معنويات الموحدين و تسبب في إقدام قادة الأسطول الموحدي على رفع الحصار عن لشبونة و إن كان المؤرخ البرتغالي أن ذلك جاء نتيجة لنجاح البرتغاليين في إغراق

---

[161]- ابن عذاري، م.س.، قسم الموحدين، ص143.

[162]- نفسه، ص145.

[163] - HUICI MIRANDA, op.cit., p.280.

الدرمونة التي كانت تحمل آلة تمكن المسلمين من الذهاب و الإياب مسلحين فوق أسوار المدينة[164].

لقد تزامنت هذه الأحداث الخطيرة مع إقدام بني غانية حكام الجزر الشرقية على احتجاز بعض و حدات الأسطول الموحدي أثناء قيام قائدها أبي الحسن بن الربرتير بزيارة لجزيرة ميورقة و اعتقال بحارتها ضاربين بعرض الحائط سياسة الهدنة والمهادنة التي طبعت علاقاتهم مع الموحدين[165]. و لم يقف بنو غانية عند هذا الحد، بل استغل علي بن إسحاق انشغال الموحين بشؤون الأندلس و موت أبي يعقوب و بيعة أبي يوسف يعقوب المنصور و خرج بمعية أخيه يحيى و يحيى ابن أخيه طلحة و مولاه رشيد الرومي بأسطول ميورقة إلى سواحل المغرب الأوسط حيث استولى على بجاية بمساعدة جماعة من أعيانها و السوقة و الفساق وعلى الجزائر و مليانة و قلعة بني حماد و حاصر قسطنطينة عام 581ه/1185م[166]. و في نفس السنة تمكن الأمير المملوكي قراقوش من على رأس جيش من المرتزقة الغز من الاستيلاء على الساحل الشرقي لإفريقية بما في ذلك ميناءي طرابلس و قابس[167].

جاء الرد الموحدي سريعا و قويا ، إذ قام الخليفة يعقوب المنصور بتعبئة قواته لغزو تلك الجهات، فأسند قيادة الجيوش البرية التي انطلقت من مراكش إلى السيد أبي زيد بن أبي حفص، في حين تولى قيادة الأساطيل التي تحركت من سبتة **" أبو محمد بن أبي إسحاق بن جامع، و أبو محمد بن عطوش الكومي، والقائد آبو العباس الصقلي و من دونهم من الرؤساء و الأعيان و الأنجاد و الشجعان، و الكل تحت رعي الشيخ أبي محمد بن جامع إلى نظره تحت ما يراه من نهيه و امره ومشى الجميع على قواعد من تظافر البر و البحر، و تلاقى الفريقين على الفتح والنصر، فارتجت الأرض برا و بحرا "** [168]. و نظرا لبعد المسافة بين مراكش وبجاية وصعوبة التنقل برا بسبب هطول الأمطار و ما ترتب عنها من أوحال

---

[164] - PICARD, La mer, op.cit., p.78.

[165]- المراكشي، المعجب، م.س.، ص388؛ ابن عذاري، م.س.، قسم الموحدين، ص175.

[166]- المراكشي، م.س.، صص389-391؛ ابن عذاري، م.س.، صص175-177.

[167]- عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، م.س.، ص271.

[168]- ابن عذاري، م.س.، صص177-178.

وفيضانات الأنهار و الأودية[169]، كانت من الطبيعي أن تصل الأساطيل قبل الجيوش البرية، و بالتالي تلعب أدوار طلائعية في هذه الحملة التي جرت عام 581ه حيث كان لها شرف فتح الجزائر و مليانة و بجاية [170]. و بذلك فتحت الطريق أمام الجيش البري الذي تقدم نحو قسطنطينة وأرغم علي بن إسحاق على ترك المدينة و التوغل شرقا في إفريقية[171].

إذا، بالتنسيق بين الجيوش البرية و الأساطيل البحرية نجح الموحدون في انتزاع قواعد المغرب الوسط من يد بني غانية الذين اضطروا سنة 582ه/1186م إلى ترك قواعدهم في شرق إفريقية على إثر حملة عسكرية ضخمة قادها المنصور بنفسه و توجت أيضا بإخضاع قراقوش و جنوده الغز و القبائل العربية[172].

لم يقتصر صراع الموحدين مع بني غانية على المغرب الأوسط و إفريقية، بل شمل أيضا جزر البليار. و قد انطلقت الشرارة الأولى سنة 581ه/1185م عندما انتهز أمير البحر أبو موسى علي بن الربرتير غياب جل أمراء بني غانية بإفريقية و قام، بدعم من الموالي والمرتزقة، بانقلاب في ميورقة و أسند حكمها لحاكمها السابق محمد بن إسحاق بن غانية الذي كان إخوته خلعوه و اعتقلوه بها. وأمام هذا المستجد لم يكن أمام بني غانية سوى سحب جزء من قواتهم البرية و البحرية و إرسالها إلى ميورقة لاستعادتها من يد محمد بن إسحاق . و قد قوة بحرية موحدية بقيادة أمير البحر محمد بن جامع الاستيلاء على ميورقة ، لكنها فشلت بسبب تدخل أسطول ملك أرغون بدرو الثاني إلى جانب الميورقيين. إلا فرقة بحرية أخرى بقيادة أمير البحر أبي العباس الصقلي نجحت عام 583ه/1187م في إخضاع جزيرة يابسة للسلطة الموحدية[173].

على عادتهم استغل البرتغاليون انشغال الجيوش و الأساطيل الموحدية بحروبها في المغربين الأوسط و الأدنى وفي الجزر الشرقية للإغارة على السواحل

---

[169]- نفسه، ص178.
[170]- نفسه، صص178.
[171]- نفسه، ص179.
[172]- نفسه، صص185-187.
[173]- نفسه، ص197.

الغربية والجنوبية الغربية و الاستيلاء على بعض قواعدها معتمدين في ذلك على دعم الأساطيل الصليبية المتوجهة من موانيء شمال غرب أوروبا إلى فلسطين للمشاركة في الحملة الصليبية الثالثة (1187-1193). فبفضل الدعم البحري إلى قدمه له أسطول صليبيي شمال غرب أوروبا مقابل الغنائم تمكن ملك البرتغال صانشو انريكث الأول (ابن الرنك) من احتلال قاعدة شلب عام 585ه/1189م[174]. و لم يتأخر المنصور في الرد على هذا الاعتداء الشنيع الذي استهدف حرمان الدولة الموحدية من إحدى أهم القواعد البحرية في ساحل الغرب الأندلسي . ففي عام 586ه/1190م، وبينما كان يعقوب المنصور في قصر مصمودة يستعد للعبور إلى الأندلس، وصلت أخبار انتصار الأسطول الموحدي على نظيره البرتغالي و استيلاء الموحدين على العديد من السفن البرتغالية و ما صاحب ذلك من قتل و أسر للجنود و البحارة البرتغاليين [175]. كان الانتصار البحري مقدمة مشجعة للحملة التي قادها الخليفة بنفسه عام 587ه/1191م حيث عبرت الجيوش الموحدية المجاز إلى طريف وتقدمت إلى إشبيلية التي وصلتها قوات الأندلس والأساطيل المحملة بالقوات البحرية و المجانيق و الآلات الحربية و المؤن و الخيول . وبفضل التنسيق المحكم بين القوات البرية والقوات البحرية تمت استعادة شلب والقاعدة لبحرية النهرية الهامة قصر أبي دانس[176].

شكلت وفاة الخليفة المقتدر يعقوب المنصور سنة 595ه/1198م بداية العد العكسي بالنسبة للنفوذ الموحدي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط [177]. لكن الأسطول حافظ، في ظل حكم الخليفة الناصر، على قدراته القتالية بفضل العدد الكبير لقطعه وتراكم الخبرة لدى قادته. ففي سنة 596ه/1200م حقق أسطول سبتة بقيادة السيد أبي العلى النصر على بحرية ميورقة [178]، و في عام 599ه/1203م لعب الأسطول الموحدي دورا حاسما في الحملة الكبيرة التي قادها الخليفة أبو عبد الله محمد الناصر و شارك فيها 12000 فارس و 700 من الرماة و 15000

[174] - Oliveira MARTINS, Portugal nos mares, Guimaraes Editores, Lisboa, 1994, p. 22.

[175]- ابن عذاري، م.س.، ص203.

[176]- نفسه، صص 205-206.

[177]- ابن خلدون، المقدمة، م.س.، ص200.

[178]- ابن عذاري، م.س.، ص240.

راجل غير رجال الأسطول و 300 جفن (70 غراب و 30 طريدة و 50 مركب كبير و 150 قارب) وتوجت بالاستيلاء على جزر البليار [179]، و في سنة 601ه/1204م أسهمت البحرية الموحدية بقيادة أبي إسحاق في إخضاع قاعدتي تونس والمهدية [180]، وبتاريخ 607ه/1210م تجرأ أسطول البرين (العدوة والأندلس) بقيادة أبي العلاء الكبير على مهاجمة سواحل بلاد برشلونة وغنم العدد الوافرة والأموال (607ه/1210م)[181]. إلا أن هذه الإنجازات تعتبر آخر ما حققته البحرية الموحدية .

3- اختلال توازن القوى في الحوض الغربي للمتوسط

بعد موقعة العقاب(609ه/1212م) التي انهزمت فيها الجيوش الموحدية أمام القوات الإيبيرية التي حظيت بدعم قوات صليبية فرنسية و ألمانية و إيطالية [182]، دخلت الدولة الموحدية في طور الانهيار الذي تمخض عن قيام أربع دول على أنقاض الإمبراطورية الموحدية خلال الفترة الممتدة ما بين 627 و 668ه : الدولة الحفصية في إفريقية ، إمارة بني عبد الواد الزيانيين في المغرب الأوسط ، الإمارة النصرية في الأندلس و الدولة المرينية في المغرب الأقصى .

لا شك أن النزاع على العرش الذي أعقب وفاة الناصر(610ه/1213م) ساهم في تأزيم الأوضاع السياسية و انهيار النظم و المؤسسات الموحدية بما فيها الجيش و الأسطول . و نظرا لما أصاب وحدة الإمبراطورية الموحدية من تقسيم و تفتيت أضحى أسطول المغرب الإسلامي موزعا بين دويلاته حيث هيمن الحفصيون على دور صناعة السفن بإفريقية بما فيها دار صناعة بجاية التي أخضعها بنو حفص عام 627ه/1230م[183]، في حين آلت دور الإنشاء بالأندلس في معظمها للثائر ابن هود الذي ملك المرية و جبل الفتح و الجزيرة الخضراء سنة 628ه/1230م) **"فلم يبق**

---

[179]- الحميري، الروض المعطار، م.س.، ص567؛ عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، صص398-402.

[180]- ابن عذاري، م.س.، صص 243-235؛ المراكشي، المعجب، م.س.، ص452.

[181]- ابن عذاري، م.س.، ص257.

[182]- المراكشي، المعجب، صص 456-458.

[183]- موسى، الموحدون، م.س.، ص275.

للموحدين بالأندلس أمر ولا نهي"[184]، بل إن الثائر الأندلسي مد نفوذه ليشمل قاعدة سبتة التي سلمه إياها الأمير الموحدي أبو موسى عمران بن منصور عام 629ه/1231م[185]. ومع مقتل ابن هود 635ه خضع ما تبقى للمسلمين بالأندلس من مدن و قرى و حصون لمنافسه محمد بن يوسف بن الأحمر مؤسس الدولة النصرية (635-897ه) ولأصهاره بني اشقيلولة أصحاب مالقة ووادي آش وقمارش[186]. إلا أن ابن الأحمر عجز عن فرض سلطته على إشبيلية التي بايعت - بعد مقتل حاكمها القاضي الباجي - الخليفة الموحدي الرشيد عام 635ه و حدت حدوها مدينة سبتة التي كانت - سنة 630ه - قد أسندت أمر تسيير شؤونها لأحمد البياسي الملقب بالموفق [187]. بعد وفاة الخليفة الرشيد سنة 640ه/1243م بادرت بلنسية و مرسية و ألمرية و إشبيلية و طريف و شريش و سبتة و طنجة بتقديم البيعة و الطاعة لأبي زكرياء الحفصي[188].

طيلة الفترة السابقة على سقوط مراكش (668ه/1269م) ظلت الأزمة في المغرب الإسلامي تستفحل. فقد هيمن المرينيون على معظم أجزاء المغرب الأقصى، في حين خضع المغرب الأوسط بما في ذلك ميناءي وهران و هنين لبني عبد الواد . وبذلك تقلص نفوذ الموحدين الذين فقدوا السيطرة على الغابات التي كانت تزود دور صناعة السفن بالخشب. وخير دليل على ذلك استعمال الخليفة السعيد (640-646ه) لخشب جامع حسان في صناعة الأجفان ، كما ورد ذلك في قول صاحب" كتاب الذخيرة" : **" و قيل إن السعيد لما طالت إقامته بفاس اتصل به أن أهل مدينة أزمور أشاعوا عليه أنه قد مات فأحرقوا أجفانه التي كان صنعها من خشب جامع حسان" [189].** ومن الواضح أن عملية إحراق الأجفان بمرسى أزمور

---

[184]- ابن أبي زرع، ألأنيس المطرب بروض القرطاس، م.س.، صص253-275.
[185]- نفسه، ص.ن.
[186]- الناصري، الاستقصا، ج3، ص40.
[187]- ابن أبي زرع، م.س.، صص275-276.
[188]- ابن عذاري، م.س.، قسم الموحدين، ص 360؛ عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدا والخبر، بيروت، 1978، م6، صص613-615؛ ابن القنفذ القسطنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، صص109، 224-225؛ محمد بن شريفة، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي حياته وآثاره، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1966، ص134.
[189]- ابن أبي زرع؟، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص66.

عام 643ه قد أتلف ما تبقى من الأسطول الموحدي. ولعل هذا ما يفسر عدم تحرك البحرية الموحدية لمنع الأجفان التونسية من دخول ميناءي سبتة و إشبيلية وعلى ظهرها عاملا الملك الحفصي أبي زكرياء على المدينتين (ابن الشهيد الهنتاتي والأمير أبو فارس) [190] وإقدام الخليفة السعيد على مطالبة ملك صقلية في سنة 645ه/1247م بمده بالأجفان متى وصل إلى البلاد الإفريقية لاسترادادها من الحفصيين[191]، و كذا انعدام أي محاولة بحرية موحدية لانتزاع سبتة من يد الفقيه أبي القاسم العزفي الذي استقل ب أمرها بمساعدة قائد البحر أبي العباس حجبون الرنداحي عام 647ه/1248م[192] ومد نفوذه ليشمل طنجة [193] وأصيلا سنة 663ه/1264م[194]، بل يذكر ابن خلدون أن الخليفة الموحدي عمر المرتضى (646-665ه) **" عقد لأبي القاسم العزفي على سبتة مستقلا من غير إشراف أحد من السادة ولا من الموحدين "[195].**

إن أكبر دليل على انهيار الأسطول الموحدي و اختفائه تدريجيا، ما عدا أسطول سبتة، عجزه عن حماية سواحل و مراسي المغرب و الأندلس التي هاجمتها الأساطيل المسيحية و استولت على بعض قواعدها بشكل دائم أو مؤقت قبل سقوط مراكش في يد المرينيين عام 668ه/1269م . ففي سنة 619ه/1222م هاجم أسطول بحري نصراني من 300 جفن جزيرة ميورقة [196]؛ و في 10 شوال 626ه/1 سبتمبر 1229م قاد ملك آراغون خايمي الأول حملة بحرية على نفس الجزيرة شارك فيها أسطول بلغ عدد قطعه 150 سفينة كبيرة من مختلف الأنواع، بالإضافة إلى عدد كبير من القوارب، و اشتملت الحملة على 1500 فارس و15000 من المشاة، بالإضافة إلى حشود كبيرة من المتطوعين ، من الجنويين والفرنجة و فرسان الداوية (المعبد)، وانتهت الحملة باستسلام مدينة ميورقة في 15

---

[190]- ابن عذاري، م.س.، ص378.
[191]- نفسه، ص384.
[192]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص76؛ ابن خلدون، العبر، م7، ص383.
[193]- ابن خلدون، م.س.، م7، ص384.
[194]- الناصري، م.س.، ج3، ص34.
[195]- ابن خلدون، م.س.، م7، ص383.
[196]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص55.

صفر 627ه/1 يناير 1230م[197]؛ وفي عام 632ه/1234-1235م تمكنت قوة بحرية أرغونية من احتلال جزيرة يابسة بعد حصار دام خمسة أشهر[198].

وتذكر حوليات جنوة أن قوة بحرية مسيحية قامت بمهاجمة السفن الجنوية في ميناءي إشبيلية و سبتة و حاولت الاستيلاء على هذا الميناء الأخير . و تنسب الحوليات هذا الهجوم الذي تم عام 632ه/1234م لمجموعة صليبية تطلق عليها اسم الكلكريني*. و نظرا لتزامن هذا الهجوم مع تاريخ احتلال يابسة، فقد اعتبره دوفورك هجوما كطلونيا و أدخله في إطار التنافس الأرغوني الجنوي بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ثم عاد فأسند الهجوم على سبتة لأحد التنظيمات العسكرية المسيحية بحجة أن السفن كانت تحمل الصليب أو لمرتزقة في خدمة الخليفة الموحدي الرشيد (1232-1242م) التي كانت تحدوه الرغبة في الاستيلاء على سبتة التي كانت قد استقلت بقيادة اليانشتي و أصبحت تحت حماية جنوة [199].

وقد رأى أحد الباحثين أن حادثة الكلكريني لا علاقة لها بصراع الخليفة الموحدي مع حاكم سبتة و إنما تدخل ضمن الصراع بين أطراف خارجية من أجل التحكم في المضيق[200]. و خلافا لهذه الآراء ذهب أحد الدارسين المغاربة مذهبا آخر، فاعتبر أن الكلكريني الذين لم يرد ذكرهم في أي مصدر آخر غير حوليات جنوة ، بما في ذلك المصادر المغربية، هم جنويون و أن الهجوم في حد ذاته هجوم جنوي بل خدعة جنوية الهدف منها الاستيلاء على سبتة [201]، و هذا ما حاولت جنوة القيام به بالفعل عندما استغاث بها اليانشتي .

---

[197]- الحميري، م.س.، ص568؛ سيسالم، م.س.، صص419-431.

[198]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص281؛ سيسالم، م.س.، صص443-445؛
Charles Emmanuel DUFOURCQ, « La question de Ceuta au XIIIe siècle », Hespéris, t. XLII, 1er et 2ème trimestres, 1955, p.93, n.1,2,3 et 4.

* Calcurini.

[199] - Ibid., pp. 92-95.

[200] - Halima FERHAT, Sabta des origines au XIVe siècle. Editions Al Manahil, Ministère des Affaires culturelles, 1993, pp. 216-217 ; Bernard ROSENBERGER, « Le contrôle du détroit de Gibraltar aux XIIe et XIIIe siècles », dans l'Occident musulman et l'Occident chrétien au Moyen Age. Colloques et Séminaires n°48, Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1995, pp.28-29.

[201]- إدريس أحمد خليفة، التاريخ المغربي لمدينة سبتة، مطبعة ومكتبة الأمنية، 1988، صص 191-192,

فوفقا لما جاء في الحوليات الجنوية ، بمجرد وصول نداءات الاستغاثة التي بعثها حاكم سبتة إلى جنوة، أرسلت الجمهورية الإيطالية إلى المرفأ المغربي أسطولا مؤلفا من ثمانية عشر شانية و أربع سفن للمؤونة. وبوصول الأسطول الجنوي على مرسى سبتة اختفى الكلكريني من مضيق جبل طارق تاركين وراءهم لغزا ما زال يحير عقول المؤرخين [202]. و لم يقف الجنويون عند حد طرد الكلكريني بل قرروا الاستيلاء على سبتة، فلم يجد اليانشتي بدا من الاستعانة بالقبائل المحيطة بالمدينة لدفع الخطر الجنوي، فكان له ذلك . إلا أن جنوة أرسلت أسطولا ضخما يضم حوالي مائة مركب [203] ضرب حصارا حول الميناء المغربي ولم يرفعه إلا سنة 633ه/1235م بعد توقيع الصلح مقابل مبلغ مالي قدر ب 400000 دينار[204].

و بينما كانت جنوة تصبو إلى التحكم في قاعدة الضفة الجنوبية لمضيق جبل طارق نازل ملك أرغون قاعدة بلنسية (يوم 17 رمضان 635ه/مايو 1238م) على رأس جيش من 61000 رجل حسب المصادر المسيحية و 80000 حسب الرواية العربية و تمكن من الاستيلاء عليها يوم الجمعة 17 صفر 636ه/سبتمبر 1238م بعد أن يئس حاكمها زيان ابن مردنيش من الحصول على الدعم الحفصي، إذ اضطرت الأجفان القادمة من تونس إلى ترك الأموال و الأطعمة و الأسلحة المخصصة لإغاثة أهل بلنسية بقاعدة دانية[205].

بالإضافة إلى جنوة و أر اغون كثفت قشتالة هجماتها على أراضي و سواحل ومراسي الأندلس و المغرب. فبعد نهب مدينة قادس عام 642ه[206]، و احتلال العديد من القواعد البرية و على رأسها قرطبة (636ه) و جيان (644ه)[207] ضرب القشتاليون الحصار حول إشبيلية في سنة 645ه بمساعدة ابن الأحمر. و قد لعب الأسطول القشتالي المكون من سفن مراسي سواحل الكنطابريك و الباسك بقيادة

[202]- DUFOURCQ, op.cit., pp. 97-99.

[203]- ابن عذاري، م.س.، قسم الموحدين، ص350.
[204]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص276.
[205]- أشباخ، م.س.، صص422-425.
[206]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص66.
[207]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، صص 272- 277.

رامون بونيفاس دورا هاما في الحصار، و ذلك بقطع مجرى الوادي الكبير و إرغام الأسطولين السبتي والحفصي بقيادة أبى الربيع بن الغريغر التينمللي على التراجع إلى مرسى سبتة، و بمهاجمة ميناء إشبيلية و تخريب ترسانتها. وبذلك تم خنق المدينة التي دخلها فرناندو الثالث صلحا سنة 646ه/1248م[208]. و قد حاول ملك قشتالة استغلال هذا الانتصار فأرسل قواته سنة 647ه/1249م للاستيلاء على قادس حيث اصطدمت بأسطول سبتة بقيادة أبي العباس الرنداحي الذي تمكن رجاله من قتل ثمانين من زعماء الروم [209]. إلا أن هذه الهزيمة البحرية لم تثن القشتاليين على تنفيذ مخططهم التوسعي برا و بحرا . ففي عام 651ه تعرض مرسى جبل الفتح لغارة بحرية نصرانية [210]؛ وفي بداية ستينيات القرن 7ه/13م تمكنت القوات القشتالية من التحكم في قادس (1260م) و شريش (659ه/1261م)[211] على ساحل المتوسط الأطلسي ومرسية و قرطاجنة (662ه/1263م)[212] على الساحل الشرقي للأندلس. ولم تقتصر حملات الأسطول القشتالي على مراسي الأندلس، بل امتدت لتشمل مراسي العدوة المغربية . فبعد أن أصبحت بحريته تتحكم في قاعدة إشبيلية التي جهزت بترسانة جديدة سنة 1253م[213] و في مرسى قادس ، قرر ألفونصو العاشر نقل الحرب إلى سواحل المغرب الأقصى ، فجهز عام 658ه/1260م أسطولا قوامه 37 جفن (12 قرقورة و مركبين و الأساطيل والشلالير) أرسله إلى سلا التي لم يجد القشتاليون صعوبة في الاستيلاء عليها واحتلالها لمدة 14 يوما قبل أن يخرجهم عنها يعقوب بن عبد الحق المريني [214]، ويعمل على تحصينها من جهة الغرب[215].

---

[208]- ابن عذاري، م.س.، ص384؛ ابن خلدون، العبر، ق1، م6، ص613؛
Rachel ARIE, L'Espagne musulmane au temps des Nasrides (1232-1492), Ed. De Boccard, Paris, 1973, pp. 61-62.

[209]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص76.

[210]- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط4، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، 2001، ج3، ص156.

[211]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص96.
R. ARIE, op.cit., p. 63, n.

[212]- ابن عذاري، م.س.، صص422 و432,

[213]- B. ROSENBERGER, op.cit., p.30.

[214]- ابن عذاري، م.س.، صص418-419 و420-421.

[215]- نفسه، ص423.

وفي هذه الظروف المليئة بالأخطار و التناقضات و التحالفات غير المقدسة جهز حليف ملك قشتالة و تابعه سلطان غرناطة محمد الأول عام 662ه/1263م حملة بحرية على عاصمة بني العزفي انتهت بانتصار الأسطول العزفي بقيادة أبي العباس الرنداحي على نظيره النصري الذي فقد معظم بحارته و مقاتليه ما بين أسير و قتيل و على رأسهم أمير البحر ظافر، كما يستشف ذلك من قول ابن عذاري : **" وفي هذه السنة كان بين الفقيه أبى القاسم العزفي وبين الأمير عبد الله بن الأحمر شنآن و فتنة و عداوة في القلوب متمكنة فأمر صاحب الأندلس القائد ظافر أن يخرج بالأجفان الغزوانية فيضيق على سبتة و يحاصرها فاجتمعت و نزلت بالجزيرة الخضراء فكانوا يدخلون مرسى سبتة مرة بعد أخرى و يضيقون عليها و يقطعون المرافق الواصلة إليها، فأمر الفقيه العزفي القائد أبا العباس الرنداحي أن يعمر جميع أجفان سبتة كبارا و صغارا فعمرها و خرج بها إليهم فكان الغالب عليهم و الظافر بما لديهم فعكسهم و نكسهم و ساقهم إلى سبتة و لم تفلت منهم إلا الأقل و قتل في جملة من قتل منهم القائد ظافر و علقت جثته في البحر على حجر السودان و طيف برأسه سبتة ثم علق..."**[216].

وإدراكا منه للأخطار التي باتت تتهدد مراسي العدوة المغربية و على رأسها سبتة التي أضحت مستهدفة من قبل الأساطيل القشتالية و الأرغونية [217] في غياب تام للدولة الموحدية المحتضرة، كلف أبو القاسم العزفي أسطوله بتخريب سور أصيلة حتى لا يحتلها العدو القشتالي و يتمنع بها [218]. و لم يقف حاكم سبتة عند هذا الحد، بل أصلح علاقاته مع سلطان مملكة غرناطة محمد الأول [219] في وقت تأزمت فيه العلاقات بين هذا الأخير و ألفونصو العاشر الذي بدأ يتدخل في الصراع الدائر بين بني الأحمر و بني اشقيلولة و أخذ يلح في مطالبة السلطان بالتخلي له عن

---

[216]- نفسه، ص425.

[217]- خلف الغافقي القبتوري، رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، المطبعة الملكية – الرباط، 1979، الرسالة رقم 8.

[218]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص101؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، صص 304 و402؛
Charles – Emmanuel DUFOURCQ, L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIVe siècles, P.U.F., Paris, 1966, pp. 24-35.

[219]- القبتوري، م.س.، صص 125-127.

قاعدتي طريف و الجزيرة الخضراء [220]. وقد أثمر التقارب بين حكام غرناطة وسبتة التنسيق والتعاون بين أسطولي الطرفين في مواجهة الأسطول القشتالي الذي حاول منع عبور المجاهدين المغاربة إلى الأندلس لدعم الأندلسيين في مواجهة التوسع المسيحي[221]. لكن رغم نجاح الأسطولين بمساعدة العواصف البحرية في إجلاء الأسطول القشتالي عن مضيق جبل طارق [222]، فإن ذلك الانتصار لم يمنع الملك القشتالي من تجهيز الأساطيل و الإغارة على العرائش و حصن تشمس عند مصب نهر لوكوس عام 668ه/1269م[223]ومحاصرة قاعدتي الجزيرة الخضراء وسبتة سنة 669ه/1270م[224]

كل هذه الوقائع و الأحداث تثبت أنه في أزمنة قوة وازدهار دولتي المرابطين والموحدين استطاعت الأساطيل المغربية (بلاد المغرب) والأندلسية أن تبسط نفوذها على سواحل العدوتين وأن تقف في وجه المخططات التوسعية للإيطاليين والأيبيريين في ظل الصراع المسيحي الإسلامي. إلا أن ميزان القوى في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط اختل بعد معركة العقاب (609ه/1212م) لصالح القوى المسيحية (جنوة ، أرغون و قشتالة) بحيث لم تستطع الأساطيل الحفصية و العزفية والنصرية استعادة زمام المبادرة و أصبح دورها منحصرا في الدفاع قدر المستطاع عن ما تبقى بيد المسلمين من قواعد في انتظار أن تصبح القوات المرينية جاهزة للتدخل في الأندلس سنة 674ه/1275م .

---

[220] - R. ARIE, op.cit., p.63 ; E. LOPEZ DE COCA CASTANER, « Cadiz, frontera del Islam (1253-1285) », in Cadiz en el siglo XIII, Actas de las Jornadas comemorativas del VII centenario de la muerte de Alfonso el Sabio, Cadiz, 1983, p. 70 ; B. ROSENBERGER, « Le contrôle, p. 33.

[221]- أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي من خلال رسائله (القرنان 7 و8ه)، دراسة وتحقيق، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة (مرقونة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995-1996، الرسالتان رقم 121-122، صص328-335.

[222]- نفسه.

[223]- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص 403.

[224]- ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص 125؛ أبو العباس أحمد القشتالي الأزدي، تحفة المغترب ببلاد المغرب، نشر وتحقيق فرناندو دي لاجرانخا، مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، 1972، عدد 30، صص 50 و70.

البيبليوغرافيا

المصادر:

- ابن أبي زرع (علي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في ذكر ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ط 2، المطبعة الملكية-الرباط، 1999.

- ابن أبي زرع (علي)؟، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971.

- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ليبيا – تونس، 1975.

ابن بلقين(عبدالله)، كتاب التبيان، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، 1985.

- ابن حيان، المقتبس، قطعة خاصة بالثلاثين سنة الأولى (300-330ه) من حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر، تحقيق شالميتا وغيره، مدريد، 1979.

- ابن حيان، المقتبس في أخبار الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، نشر وتحقيق توزيع دار الثقافة، بيروت، 1983.

- ابن الخطيب (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، 2001.

- ابن الخطيب(لسان الدين)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، دراسة وترجمة النص العربي محمد كمال شبانة، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي بالمغرب، تطوان، 1977.

- ابن الخطيب (لسان الدبن)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط4، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، 2001.

- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، بيروت، 1993.

- ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر وديوان المبتدا والخبر، بيروت، 1978.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، د،ت.
- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1979.
- ابن سعيد المغربي، كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان فرنيط خينس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958.
- ابن سعيد الغرناطي الأندلسي (علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك)، المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، 1953.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1998.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق الأساتذة محمد إبراهيم الكتاني ومحمد زنيبر ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985.
- ابن القنفذ القسطنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968.
- ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1971.
- الإدريسي (محمد الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – الظاهر، د.ت.
- الأنصاري السبتي (محمد بن القاسم)، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، حققه عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية – الرباط، 1969.

- البكري (أبو عبيد) ، المسالك والممالك، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوقن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1992.
- البيدق (أبو بكر الصنهاجي)، أخبار المهدي وبداية الدولة الموحدية، باعتناء إ. ليفي بروفنسال، باريس، 1928.
- الحميري (محمد عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.
- الجزنائي (علي)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية – الرباط، 1991.
- رحلة التجاني، تحقيق حسين حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981.
- الرشاطي (أبو محمد)، الأندلس في اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثنتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1990.
- الزهري (أبو عبد الله محمد بن بكر)، كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ، اعتنى بتحقيقه محمد الحاج صادق، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – الظاهر، د.ت.
- العذري (أحمد بن عمر بن أنس)، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965.
- القشتالي الأزدي (أبو العباس أحمد) ، تحفة المغترب ببلاد المغرب، نشر وتحقيق فرناندو دي لاجرانخا، مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، 1972.

- القبتوري(خلف الغافقي)، رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، المطبعة الملكية – الرباط، 1979.
- مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، باعتناء إ. ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، رباط الفتح، 1941.
- مجهول، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، الدار البيضاء، 1979.
- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
- مجهول، مفاخر البربر، ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المصادر الأندلسية، 20، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996.
- المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم ممدوح حقي، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت.
- المقري (أحمد بن محمد)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، محافظة مصر، 1949.
- الناصري (أحمد بن خالد)، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

مراجع بالعربية:

- أشباخ (يوسف)، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمه عن الألمانية ووضع حواشيه محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة، 1958.
- ابن تاويت (محمد)، تاريخ سبتة، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982.
- ابن شريفة (محمد)، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي حياته وآثاره، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1966.

- حمدي (عبد المنعم محمد حسين)، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 19997.
- خليفة (إدريس أحمد)، التاريخ المغربي لمدينة سبتة، مطبعة ومكتبة الأمنية، 1988.
- دندش (عصمت عبد اللطيف)، الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين عصر الطوائف الثاني 510 - 546ه/1116– 1151م تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- سالم (السيد عبد العزيز) و العبادي (أحمد مختار)، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، 1969.
- سيسالم (عصام سالم)، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1984.
- الشريف (محمد)، سبتة الإسلامية، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، سلسلة دراسات، منشورات جمعية تطاون اسمير، تطوان، ط1، 1995.
- عزاوي (أحمد)، الغرب الإسلامي من خلال رسائله (القرنان 7 و 8ه)، دراسة وتحقيق، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة (مرقونة)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995-1996
- عمران (محمد سعيد)، " حولية سقوط لشبونة 1147م، الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال العصور الوسطى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط : ندوات ومناظرات رقم 48، الرباط، 1995.
- موسى (عز الدين عمر)، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991

مراجع باللغات الأجنبية:

ARIE Rachel, L’Espagne musulmane au temps des Nasrides (1232-1492), Ed. De Boccard, Paris, 1973, pp. 61-62. Charles – Emmanuel

DUFOURCQ, L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIVe siècles, P.U.F., Paris, 1966, pp. 24-35.

DUFOURCQ Charles-Emmanuel, L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIVe siècles, P.U.F., Paris, 1966

DUFOURCQ Charles-Emmanuel, « La question de Ceuta au XIIIe siècle », Hespéris, t. XLII, 1er et 2ème trimestres, 1955

FERHAT Halima, Sabta des origines au XIVe siècle. Editions Al Manahil, Ministère des Affaires culturelles, 1993

GARI B., « Pisa y el control del Mediterraneo nord occidental, Carta de los consules de Pisa a Ramon Berenguer a mediados del siglo XII », en MEDIEVALIA, 1992.

HUICI MIRANDA A., Historia politica del Imperio almohade, Tetuan, 1956.

LAGARDERE Vincent, Les Almoravides jusqu'au règne de Yusuf b. Tašfīn (430H/1039 – 500 H/1106). Doctorat de 3ème cycle, Université de Bordeaux III, 1976.

LEVI-PROVENÇAL Evariste, Inscriptions arabes d'Espagne, Leyde-Paris, 1931.

LOMBARD Maurice, « Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane (VII-XIe siècle) », dans Le navire et l'économie maritime du Moyen au XVIIIe siècle principalement en Méditerranée, 2ème Colloque International d'histoire maritime (tenu à l'Académie de Marine, mai 1957), Paris, 1958 Christophe PICARD, La mer et les musulmans d'Occident au Moyen Age (VIIIe-XIIIe siècle), Paris, 1997.

LOPEZ DE COCA CASTANER Eduardo, « Cadiz, frontera del Islam (1253-1285) », in Cadiz en el siglo XIII, Actas de las Jornadas comemorativas del VII centenario de la muerte de Alfonso el Sabio, Cadiz, 1983[1] - Oliveira MARTINS, Portugal nos mares, Guimaraes Editores, Lisboa, 1994.

ROSENBERGER Bernard, « Le contrôle du détroit de Gibraltar aux XIIe et XIIIe siècles », dans l'Occident musulman et l'Occident chrétien au Moyen Age. Colloques et Séminaires n°48, Publication de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 1995

SCALIA G., « Contributi pisani alla lotta anti-islamica nel secolo XI e nei primi decenni del XII », in Annuario de Estudios Medievales, 10, Barcelona, 1980.

SANCHEZ SESA Rafael, « La cronistica toscana bajomedieval y la imagen de la Peninsula Iberica », En La Espana Medieval, Madrid, 1997.

فهرس الموضوعات

المحور الأول: البحرية المرابطية

1- البنيات والمقومات

2- الجهاد البحري

3- الهجمة الأوروبية المسيحية على سواحل الغرب الإسلامي

المحور الثاني: البحرية الموحدية

1- طور التأسيس وتوحيد الغرب الإسلامي

2- المواجهة البحرية مع أساطيل البرتغاليين وبني غانية

3- اختلال ميزان القوى لصالح المسيحيين في الحوض الغربي للمتوسط